

روايات المؤرخ
ميخائيل السوري الكبير

« زحف الفرنجة إلى بلاد المشرق »

لما استولى الترك على بلاد فلسطين وسورية أخذوا يفحشون في تعذيب النصارى القاصدين الحج إلى بيت المقدس ، ويتقاضون منهم المال عند دخولهم المدينة وزيارتهم جبل الجلجلة وضريح السيد المسيح ، وبيالغون في التضيق خصوصا على الزوار الوافدين من روميه وإيطاليا إلى بيت المقدس ، ويوقعون بأقوام منهم ظلما وعدوانا فتحمس ملوك الفرنج واقطابهم فحشدوا جيوشا كثيفة وخرجوا من رومية وانضم اليهم في الطريق الأمراء والقواد والعساكر من القواد والعساكر من جميع أنحاء أوربا يريدون استنقاذ البيت المقدس من أيدي المسلمين ، وكان خروجهم من بلادهم ١٠٩٧ م وهي السنة الثانية والخمسين لظهور الترك (٤٩١ هجرية) وكان الكسوس يومئذ ملكا على القسطنطينية .

وكان يضم جيش الأفرنج الوفا وربوات من العساكر والجنود والضباط والصناع واستصحبوا طائفة من الأساقفة ولفيفا من الأكليروس والرهبان وعلى رأسهم ملكان وسبعة قمامصة أما الملكان فهما بوهموندونتركيد ، وأما القمامصة فهم روجر وبيموند وبلدوين وجوسلين وغالارن وغودفري وصنجيل فساروا إلى إسبانيا أولا وملكوها ، ثم توجهوا برا وبحرا إلى القسطنطينية ، فوصلوا إلى الخليج حيث يجتمع البحران ، وأرسلوا وفدا إلى الكسوس لينضم إليهم ، وليوصي أهالي مدن مملكته ليجهزوا المؤن للعساكر والخيل فوعدهم بذلك ، لكنه مالبث أن خلف بوعدة ، فاتصل بالأمراء الترك في نيقية وغيرها ليرسلوا عساكرهم ويقبضوا الأفرنج فاحدثوا للحال وساروا بدشدهم وجموعهم وانقضوا عليهم في سواحل البحر ، وأعملوا فيهم السيوف قتلا ونحرا حتى أبادوهم برمتهم ، فانهزم الباقون إلى القسطنطينية وحاصروها سبع سنوات (١) ثم تحالف الأفرنج مع ملك الروم ووزرائه فخرجوا معا

من ناحية غلاطية ، ووصلوا إلى نيقية فحاصروها واحتلوها وملكوا عليها الكسس ، ولما ارتحلوا إلى قليقية ارتجت لهم الأرض وهلعت منهم القلوب وبات الملوك جميعا يحسبون لهم ألف حساب ، ثم توجهوا إلى أنطاكية لأنها مفتاح بلاد سورية ، وخيموا في ضواحيها وأخذوا يغيرون على الغادين والرائحين ، وقطعوا المؤونة عن البلد وعاثوا في الحقول والضياع والمزارع المحيطة بها فسادا وخرابا ، وقد بقي الأفرنج يحاصرون أنطاكية تسعة أشهر .

في ذلك الزمان عندما كان الأفرنج يحاصرون أنطاكية حدث فيها زلزال عظيم فقوض كثيرا من الأبنية الفخمة ، وقد ظهر في أساس أحد أبراجها المتهدمة بيت قديم يشتمل على أشخاص من نحاس شتى بأشكال فرنجية تمثل رجالا ممتطين الخيل مدججين بالرمح والسيوف النحاسية ، متدرعين بأصناف الأسلحة فأمر يفسيان التركي أن يبحثوا عن أصلها وفصلها فلم يهتد أحد إلى حقيقتها ، بل غلب على ظنهم أنها أصنام وثنية فأمر الوالي بتكسيبها وتحطيمها ، واتفق أن عجوزا عمياء أذاعت أنذاك أنها سمعت الكهان يقولون إن في أسفل ذلك البرج طلاسمات لتمنع أمم الفرنج من الخروج ومن عبور البحر ، فلما سمع يفسيان الوالي قول تلك العجوز ندم لأنه حطم تلك التماثيل ، وسألها هل سمعت كيف يمكن أن ترمم فأجابت : لا ، فأمر بضربها وقتلها .

أما الأفرنج فبعد أن خرجوا من البحر إلى الساحل عقدوا مجمعا وعاهدوا الله تعالى أنه إن أتاح لهم الاستيلاء على بيت المقدس فإنهم سوف يعاملون بالحسنى جميع النصراني من أي مذهب كانوا ، وأنهم سوف يهبون لكل طائفة تؤمن باليسوع كنادس وأديرة .

« استسلام الرها للفرنجة »

لما سمع الرهاويون بقدوم الفرنج إلى بلاد المشرق ووصولهم إلى انطاكية طلبوا من الوالي ثاودوس بن هاتم أن يكاتبهم ويستحثهم القدوم إلى الرها ليحميهم من هجمات الترك أعدائهم ، فرفض ذلك في بادئ الأمر وأخذ يثنيهم عن ذلك ، لكنه تخوف أن يتصلوا بالفرنجة سرا ، فأرسل إلى الدوق غودفري رئيس القواد وفدا حمله كتابا يطلب فيه أن يرسل جيشا ليتسلم منه ولايته ، ولما اطلع الفرنج على ذلك الكتاب ابتهجوا ابتهاجا عظيما واستبشروا خيرا ، وقالوا : كما أن الرها سبقت أورشليم في الايمان بالاسيد المسيح هكذا شاء الله تعالى أن تدخل قبلها في حوزتنا ، فبعث غودفري بأخيه بلدوين وسيره في شزيمة من الجنود ، فخرج الأهالي لاستقباله مرحبين وادخلوه المدينة وملكوه عليهم مسرورين .

وما أن استلم بلدوين مقاليد الأمور في الرها حتى بدأ الأهالي يتعرضون لثاودوس الوالي لحقدهم عليه ، ثم مالبتوا أن ثاروا عليه فهرب إلى الحصن الذي كان قد سلف له أن بناه فوق باب المدينة الشرقي فأحاطوا به وتسلقوا الحصن وقبضوا عليه وخلعوا عنه ثيابه سوى ما يستر عورته ، ثم دلوه من أعلى السور على هذه الحالة فانقض عليه الأهالي وفتكوا به ، ثم صادر بلدوين أمواله وسيطر على الحصنين ، ووضع فيهما حامية .

« الاستيلاء على أنطاكية »

عم الفرخ بين الفرنج بعد الاستيلاء على الرها ، وقد شد عزائمهم هذا المكسب فزحفوا إلى أنطاكية ، فاستدعوا روزبه الفارسي ، وأخوين أرمنيين ، وكان هؤلاء الثلاثة يحرسون البرج من ناحية كشكروف وأغراهم بوهيموند بمال كثير إن سمحوا لهم بالعبور فوق الجسر المبنى على قضبان حديدية ، وهكذا كان فاقبل الأفرنج ليلا وعبروا المضيق وتسلق بعضهم بالحبال إلى أعلى السور ، والتف الباقون حوله وقبل بزوغ الفجر شرع الأفرنج ينفخون في الأبواق فاستفاق يغسيان الوالي مذعورا معتقدا أن الأفرنج قد استولوا على القلعة ، فهرب من الباب الأعلى للحصن في ناحية الجبل الشرقية الجنوبية ، وسار باتجاه حلب بمسحبة ثلاثة رجال ، لكنه سرعان ما اكتشف أن الفرنج لم يستولوا على القلعة بعد ، فحزن حزنا شديدا وأخذ يعرض أنامله ندما ويقول : واللهي كيف تركت بلدي وأهلي وأولادي وأموالي وخرجت وحيدا متشردا ، وكان طوال الطريق يلتفت نحو أنطاكية وينوح عليها إلى أن يسقط عن حصانه ، فأركبه أصحابه ، فسقط ثانية فأركبوه ثالثة فتركوه وحده ، فمر به رجل أرمني كان يقطع حطبا في الجبل فقطع رأسه وأخذه إلى الفرنج .

بعد ذلك دخل الفرنج أنطاكية دون اكتراث بالسكك التركي المتبقي في القلعة وبقي الأتراك داخل القلعة ثلاثة عشر يوما ، أجهدهم فيها الجوع الذي كان يفتك بهم وبدوابهم حتى أكلوا لحم خيولهم ، واشتدت المجاعة حتى بلغ ثمن رأس الحمير عشرين دينارا تقريبا .

في هذا الوقت أقبل كربوقا التركي في مائة ألف فارس من أطراف بغداد والموصل ، فمر بالرها واستباح ضواحيها قتلا ونهباً واستأنف

المسير إلى حلب فبلغه أن الفرنج قد احتلوا أنطاكية فغضب غضبا شديدا وعجل لاستردادها ، وكان العسكر التركي الذي في القلعة مازال محاصرا يقاوم الفرنج ليل نهار ، فوصل كربوقا مع جيشه وخيموا عند بفراس حيث كان معسكر الفرنج قبل دخولهم البلد ، فأصاب الفرنج بأس شديد ، وأخذوا يقيمون الصلوات ويثابرون على الصوم ، ويتضرعون إلى الله ليساعدهم على الغلبة ، في ذلك الوقت رأى طنكريد رؤيا فحفروا في أحد أمكنة بيعة القسيان وعثروا على مسامير صليب المسيح ، فسكبوا منها صليبيا وسنانا لواحد من رماحهم ، وخرجوا لقتال الترك وأعملوا فيهم السيف وملأوا الأرض من جثث القتلى ، ودحروا من بقي إلى ما بين النهرين (الجزيرة) حدث ذلك في ٣ حزيران عام ١٠٩٨ م وتولى انطاكية بوهيموند وابن اخته طنكريد .

ثم أتى الأفرنج إلى المعرة وسروج وكانتا لبني عطير .

استيلاء الفرنج على بقية سورية وبيت المقدس

كان المصريون قد سعدوا واخذوا بيت المقدس من الترك قبل خروج الافرنج ، فتوجه الافرنج اولا الى يافا ، واخذوها بالسيف ، ثم توجهوا الى بيت المقدس ، وكان بها والي الافضل المصري فاقاموا برجين احدهما عند باب صهيون في الناحية الجنوبية وثانيهما عند مار اسطفانس في الجهة الشرقية ، فبادر المسلمون والقوا النيران في برج باب صهيون فاندلعت وانتشرت ، لكن ما ان انتهى الحريق حتى وقعت في البلد صيحة عظيمة ان الفرنج قد اقتحموا المدينة ودخلوها من الناحية الشرقية .

وقد استطاع الفرنج ان يدخلوا بيت المقدس في تموز سنة خروجهم (١٠٩٩ م) وقد اعملوا السيف في العسكر والاهالي واوغلوا في سفك الدماء اسبوعا كاملا ، حتى بلغ عدد القتلى ثلاثين الفا ، وقتلوا في المسجد الأقصى نيفا وسبعين الفا ، وامتلأت شوارع المدينة من جثث القتلى فكوموها واحرقوها .

وكان اول ملك افرنجي بها هو غودفري وقد ملك سنتين ثم ملك بعده بلدوين مدة سبع سنوات .

ولما انتهت تلك المعركة الدموية ، اخذت امور الفرنج تقوى وتتحسن ، وتمت لهم الغلبه فتوجوا الدوق غودفروي ملكا على القدس ، ثم جالوا في اطراف فلسطين واحتلوا ضياعا وحصونا ومدنا شتى ، وساروا الى حبرون ، وابتنوا فيها كنيسة ضخمة ، واوحى الى بعضهم وهم قانتون صائمون عن مفازة الابهاء حيث اضرحه ابراهيم واسحق ويعقوب فابتنوها على اجمل طراز .

ولما تمكن الفرنج في بيت المقدس وصلحت احوالهم اخرجوا الروم من الكنائس الكبرى ، وابعدوا اساقفتهم واقاموا من شعبيهم

بطريكين احدهما لأور شليم والثاني لانطاكية ، فنصب البطريريك
الانطاكي اساقفه لطرسوس والمصيصة والرها ودلوك وافاميا
وطرابلس واللانقية وجبله وقوروس ومرعش وحارم ، ونصب
بطريك أورشليم اساقفه لبيت لحم وحبرون والسامرة ويافا
والناصره وقيساريه وصيدا وبيروت ، وكان جملة الاساقفة الفرنج
عشرون اسقفا ، ولما استولوا على صور رسموا لها ايضاً
اسقفا . على ان مدينتي صور وعسقلان بقيتا في حوزة المصريين
زمننا .

معارك صنجيل مع الطرابلسيين والدمشقيين والحماصنة

في عام ١١٠٣ استولى صنجيل (القائد الفرنسي) على طرطوس فبلغ الترك ان عسكره قليلون ، فوجهوا اليه من طرابلس ودمشق وحمص جيوشا ضخمة ، والتقى الجيشان الفرنجي والتركي . فانكسر الجيش التركي وهرب جنوده وقد سقط منهم كثير من القتلى .

فتوجه صنجيل الى طرابلس واستطاع احتلالها بعد حصار طويل ، فنظم احوالها ثم ولى عليها اولاده وعاد الى بلاده حاملا الحربة التي استخرجها الفرنج في انطاكية - كما ذكرنا من قبل - وعند وصوله الى القسطنطينية التمس الكسوس الملك منه ان يعيره اياها لكي يتبرك منها ، فأعطاه اياها صنجيل ، لكن الكسوس صاغ من تلك الليلة حربته مثلها وارسلها الى صنجيل واحتفظ بالحربة الحقيقية ، وهذه الحربة هي التي طعن بها اليهود في طبرية يقونة السيد المسيح تهكما وسخرية فسال منها للحال دم وماء .

احتلال الاتراك ملطية

كان الروم قد وضعوا جبرائيل الرومي (الملكي) على ملطية ، وكان الامير دانشمند صاحب كبدوكيا التركي يضايقه ويقلقه ويفغزو بلاده اثناء الصيف وينقلب الى حاضرتة ، فعول جبرائيل على التملص من مساوئه وعدوانه ، فكتب الى بوهيموند صاحب انطاكية يستقدمه ليسلمه البلد ، واقسم له على الوفاء بذلك ثلاثا ، مصرحا له بأنه يروم بكل خاطره ان يزوجه ابنته كيرا مورفيا ويوليه على ملطية بدلا من جهازها ، فوثق بوهيموند بكلامه وسار اليه في جيش جرار ، بيد ان ولاة الارمن مثل باسيل صاحب كيسوم وابناء روبين واصحاب ارمينيا تخوفوا من الفرنج متوهمين انهم اذا اخذوا بلادهم اخرجوهم عنها ، فارسلوا الى اسماعيل بن دانشمند سرا ليكمن لهم ويمنعهم من الدخول ، ولما اقترب بوهيموند من ملطية وخيم في قرية جفنة اوفد الى جبرائيل يطالبه بانجاز وعده ، فراح يؤجله من يوم الى يوم حتى وصل ابن دانشمند في عسكره وكمن لبوهيموند حتى تمكن منه ، واوثقه واوفده مكبلا الى سبسطيه ، وتوجه هو الى ملطية وشدد عليها الحصار ، فسار وجهاء البلد الى السيد يوحنا سعيد صابوني اسقف المدينة يتوسلون اليه ليشير على جبرائيل الوالي ان يسلم المدينة صلحا ، مع ان المطران المشار اليه كان فيما سلف يشجعهم ويبعث في قلوبهم النخوة ليقاتلوا الترك ، بيد ان جبرائيل ابي الا التصلب في رايه واستشاط سخطا على المطران وطعنه بيده ، فغاصت روحه حالا ، وعمد الى طائفه من وجهاء المدينة المسيحيين ، فقتلهم ظانا ان فعلته هذه سوف تمكنه من التثبيت في بلده ، لكنه مالبت ان هجم عليه قائدان قويان اتفقا مع الترك ، فسلبوا موها البلدة يوم الاربعاء في ١٨ ايلول ١٤١٣ يونانيه (١١٠٢) فاندقضوا على ملطية التعيسة ، واخذوا اموالها لكنهم ابقوا على سكانها واعادوهم الى بيوتهم .

بعد هذا اوفد ابن دانشمند فاستحضر من بلاد النخائر والمؤن والغنم والبقر ، واجزل الخيرات للاهالي ووطنهم وولى عليهم باسيل التقى الورع .

بعد ذلك اقتصت العدالة من جبرائيل فصار يعذبه الترك بقساوة كذلك قام كثير من المسيحيين ، واخذوا ينتقمون منه فضربوه وعذبوه واخذوا يذكره بقتل المطران القديس والرؤساء المظلومين ، وبقيّة الفظائع التي كان يقترفها وبعد ان اشبعوه احتقاراً وسقوه مرأ اخذوه الى قلعة متمرده مقطوعة كانت امراته فيها ، فأمره الترك ان يقول لامراته ان تسلّم القلعة فحاول القيام بحيله شيطانية ليضللهم فقال لها لك علامة ان ارسلت الفتى ميداس ، فاعطيهم القلعة ، لكن هذا الاسم في اللغة الارمنية يعني لاتعطي ، فلما عرف الترك انه يخدعهم قتلوه ورموه للكلاب فأكلته الكلاب .

اما الدانشمند فقد امر بإحضار الملك بوهموند من سبسطية عام (١١٠٣) وقبض منه في ملطية مائة الف دينار ، وارسله الى انطاكية فولى عليها ابن اخته ، اما هو فرجع الى بلاده وهناك انجب ابنا دعاه باسمه ، وقد خرج هذا بعد زمان قليل وتملك على انطاكية .

مجموع احداث ١٤١٢ - ١٤٢٥ يونانية ١١٠١ - ١١١٢ م

فيما مضى كان يملك في خراسان الترك اما في بلاد اثور والجزيرة وما بين النهرين فكان الترك مختلطين مع العرب الذين رجعوا وضبطوا هذه الاماكن .

اما في مصر فكان العرب المسيطرون ، لكن لما اندلعت الحرب في خراسان كانت هذه الحرب بين الاتراك ولذلك قويت شوكة العرب . وفي سنة ١٤١٢ يونانية خرج ابن ملاعب العربي من حمص واخذ اوفيمية (افاميا) .

وفي تلك السنة ملك على دمشق دُقاق الغُزّي وملك على حلب رضوان بن الملك الغزي .

وفي سنة ١٤٢٠ اخذ عمر بن سالم العربي سوكره وصابوره واشتعلت الحروب بين الترك والعرب .

اما الترك الذين في كبدوكية والبيتونية فلم يكن بينهم احد من العرب لانه كان قد انطفأ كليا حكم العرب من هذه المناطق بسبب قتالهم مع اليونانيين ومع بعضهم بعضا .

ومات بسبب سببية دانشمند بعدما ملك ملطية لمدة عامين ، فأقبل بعد ذلك السلطان قلعج ارسلان الى ملطية وكان بها يغسيان بن دانشمند ، فنزل عليها في ٢٨ حزيران وحاربها حربا شعواء واقاموا المنجنقيات على البرج المجوف الواقع في الناحية الغربية من شرقي المدينة ، ولما علم الذي كان بها انه قد دنت ان تؤخذ طلب الامان وسلمها ، وتملكها قلعج ارسلان ودخل ملطية في ٢ ايلول سنة ١٤١٧ يونانية .

في هذا الزمان وقع انشقاق بين الترك والعرب الذين في اثور ، لان سلطان خراسان غياث الدنيا ارسل رجلا اسمه ابو منصور جاولي لمجابهة الافرنج ، ولما وصل لبغداد توجه الى الموصل وكان بها في ذلك الزمان جكرميش ، لكن هذا لما سمع بزحف جاولي نحوه حصن المدينة وجهز عساكره للحرب ، واشتبك مع جاولي وانتصر عليه واعتقله وادخله الموصل موثقا لكن بعد ايام يسيره مات جكرميش فخرج جاولي وجمع عسكراً في بلاد صابورا ليعود الى المكان نفسه لان اهل الموصل اقاموا عليهم ابن جكرميش رئيسا ، لانهم خافوا ان لا يستطيعوا الوقوف في وجه جاولي ، ولما سمعوا ان قلج ارسلان قد استقر بملطية ارسلوا يطلبون منه النجدة ويعطوه بالمقابل الموصل ولما سمع جاء وقطع الفرات ، وكان حكام مدائن ما بين النهرين اتراكا من قبيلة ارتق حين سمعوا بمجيء السلطان خافوا وكلهم اتوا لخدمته :

ابن شافك من قلعة زياد و ابراهيم من امد وغازي من ماردين ، فلما نظر جاولي هؤلاء لم ينزل الى الموصل .

اما قلج ارسلان فقد دخل الموصل وحكمها ، اما جاولي فقد حكم على الرحبة ولما سمع السلطان اتى بعسكر عظيم وصار الحرب على نهر الخابور لكن وبفعل الاعداء وقع انشقاق بين عساكر السلطان فتركوه وهربوا وبقي يحارب وقام في الحرب ببطولات عظيمة، اخيرا دخل في النهر ليجتازه لكن بسبب ثقل الحديد الذي يلبسه اختنق في النهر ومات .

وملك جاولي على الموصل وعلى نصيبين واخذ يضطهد اعداء بقساوة، وجمع مالا كثيرا ورجع الى خراسان حينئذ غازي عم الذي نزل في ماردين واخذ مدينة نصيبين .

في سنة ١٤١٧ في اول جمعة من صيام الاربعة ظهر كوكب في المغرب وكان ذنبه باتجاه المشرق وبقي من اول المساء حتى آخر الليل

المصاعب التي تزايدت في ملطية بعد موت السلطان

لما أتى خبر موت السلطان قلعج أرسلان أقاموا بملطية ابنه الصغير الذي كان اسمه طغرل أرسلان، وصار مدبره رجل شيخ اسمه برميش وكان هناك رجل آخر اسمه أرسلان، أفتفتت معه أم الصبي أن قتل برميش تتزوجه وهكذا كان ، لكنه صنع شرورا كثيرة بأهل المدينة فأخذ يجمع الذهب ، ثم أخذ يعتقل الجميع ليمضي إلى بلاد الروم ولما عرفت به المرأة اتفقت مع ابنها وأمسكت بأرسلان ، وحديثه وظن الناس أنه قتل وبعد سنة أخرجته وأرسلته للسلطان، وكان لطرغل أرسلان ثلاثة بنين آخرين كبار هم : عرب ، وملكشاه ، ومسعود ، أما عرب فقد قتلها الأمير إلغازي بن داندشمند، وتنصب ملكشاه سلطانا وأمسك أخاه مسعود وحبسها ودخل القسطنطينية عند الكيس الملك ، لكن رئيس عسكر ملكشاه مالبت أن عصى عليه فأخرج مسعود واتوا لعند الأمير غازي ابن داندشمند ونصبوا مسعود سلطانا ، ولما خرج ملكشاه من القسطنطينية وهو يحمل الذهب صنعوا له كميناً وأمسكوه وقلعوا عينيه ، ولما نظر الأفرنج أن الترك يحاربون بعضهم بعضاً اشتد ساعدهم، وأتى بوهيموند وأخذ أبلستين وبلاد جيحان وخضعت له كل بلاد ملطية ، حينئذ اجتمع بالرها جمع عظيم للاحتفال بالانتصار وقد بقوا أياماً كثيرة يتخاصمون مع بعضهم بعضاً لأجل قسمة المدن ، ولما طالت هذه المشاجرة اجتمع الترك لمهاجمتهم فخرج الأفرنج وهم مختلفون مع بعضهم حول قسمة البلاد ، ولما وصلوا إلى حران خرج أهل حران لاستقبالهم واحضروا لهم المفاتيح لكن بلديين حاكم الرها لم يأخذها لأن حران كانت حصته ، وقدر أنهم إذا دخلوها أولاً فسيذهبونها ويقتلوا شعبها ، فتركوها وهم مختلفون خصوصاً لأنهم لم يدخلوا حران ، فلما التقى بهم الترك وحدثت معركة انكسر فيها الأفرنج وأسر الأتراك بلديين وجوسلين وأخذوهما للموصل، أما تنكرد فقد هرب للرها ووضع بها شرد

رئيسا ، هذا صار في سنة ١٤١٤ على نهر البليخ الخارج من فدان آرام (٧) ، والذي هو اليوم مسجد للعرب ، ويدعونه بيت ابراهيم ، ويجري ليختلط مع الفرات عند قالينيقوس ، اما تنكرد فقد ترك الرها بيد شرد وقد ابتلى هذا الرهاويين بشرور كثيرة ومضى لانطاكية ولم يكن يريد خلاص جوسلين بسبب الفتنة التي صارت بينهم ، لكن اناسا من تل باشر تبرعوا ان يجلسوا في السجن رهنا ليخرج جوسلين ويحضر الذهب ، غير ان اولئك المسجونين كسروا البيت المحبوسين به وهربوا وخلص جوسلين دون ان يدفع دراهم ، اما بلدوين فقد كان غرضه سبعين الف دينار ، فأخذ جوسلين ثلاثين الف ومضى الى قلعة جعبر وجلس هو رهنا على الباقي ، فأخرج بلدوين ، ولما سمع سلطان الموصل ان جوسلين سلم نفسه ليدخل السجن تعجب وطلب ان يراه لأنه لم يره من قبل وانما سمع عن حسن قامته ، فمضى جوسلين الى الموصل ، ولما راه السلطان حذف من جزية بلدوين عشرة الاف ، فسجد جوسلين ووضع وجهه على الارض ، حينئذ ولأجل هذه السجدة ترك عشرة الاف أخرى ايضا ، ثم أرسلوا وابتهجوا ، وخرج في الصباح السلطان مع عسكره فأمر ان يركب جوسلين فركب وحمل سلاحه ، ولما نظر السلطان حسن جوسلين وقوته تعجب هو وكل الشعب ، فسمح له بكل ما تبقى من غرامة بلدوين ، ولما خرج بلدوين من السجن صعد ليصلي بالقدس ، وحين وصل وجد أنه في يوم الأربعاء الذي يتقدم على عيد الشعانين .

وفي تلك السنة التي هي ١٤٢٨ كان قد وقع بلدوين الملك عن فرسه ، ولما علم انه سيموت أمر ان يصير ملك مكانه بلدوين هذا حاكم الرها الذي هو ابن اخته ، وكان قد وصل فجأة وبدون معرفة بما جرى ، فعرف ان الرب قد اختاره ففرح به الجميع ، ونصب يوم الثلاثاء الذي يتقدم على يوم الجمعة العظيمة في ٩ نيسان ، ولما صار ملك اعطى الرها لجوسلين الشجاع الجبار .

وفي هذه الايام اتفق بعض الأرمن مع الاتراك عندما راوا ان

- ٢٠٤٣ -

الأتراك قد سبوا بلاد الرها ووصلوا الى السور ووقفوا ، فادخلهم هؤلاء الأرمن بأحد الأبراج لأن الأرمن ظنوا بأن الترك يأخذوها ، لأنه ليس لها رئيس لكن الله تعالى صنع تدبيراً فوجد جوسلين ان الأتراك قد صعدوا الى رأس البرج، فدخل وحده وكان يلبس درعا فقتل ثلاثين رجلاً بالسيف فوق الذين كانوا يتسلقون عليها وتكسروا وهكذا نجت المدينة •

قبل هذا الزمان أي في سنة ١٤٢١ خرج من خراسان رئيس للجيش اسمه مودود ومعه مائة ألف ، وحل على الرها ثلاثة أشهر، فأجتمع الأفرنج ليهاجموه فتركها الترك وهربوا •

• كمل هذا أيضا بعون الرب صلوا علي

في سنة ١٤٢٩ تراءى في بلاد جيحان نور في نصف الليل كنور الشمس وبقي نحو ثلاث ساعات ، وفي الرابع من نيسان من تلك السنة حدث ظلام على وجه الأرض ، وغطى قرص الشمس نوع من الرماد من أول ساعات الصباح وحتى ثالث ساعة ، ومن ثالث ساعة الى الساعة العاشرة اضاء قليلاً قرص الشمس ثم انظلم ثلاث ساعات اخرى من النهار ، ثم صار قرصاً مثل النار ولم تعد للضياء، وبقي هذا الظلام اثني عشر يوماً .

في ٢٥ من ايار اظلمت ثلاث ساعات، وفي أول حزيران تراءى كوكب بذنوب، وذنوبه كان كالمرح ممتد لناحية المشرق، وبقي خمسة عشر يوماً وكل يوم كان يمشي للأمام ، وفي تلك السنة في شهر ايلول حدث زلزال شديد، وتهدمت اماكن كثيرة .

انخساف مرعش بالزلزال

في سنة ١٤٢٥ في ٢٩ تشرين الثاني ليلة الأحد ارتجت الأرض، وصار زلزال قوي جدا وقد غارت مدينة مرعش كلياً وانقلبست اساساتها وابنياتها وصارت قبرا لسكانها ، وقد انهارت بهذا الزلزال بيعة ماريوحنا في كيسوم ، وبيعة الأربعين شهيداء، وبإدارة مارديونوسيوس اسقف كيسوم اعيد بنيانها ، وايضا سقطت شميشماط بهذا الزلزال واختنق بها كثيرون ، ومن جملتهم قسطنطين صاحب قلعة جرجر، وتهدمت في جميع المدن والقرى اماكن كثيرة .

وفي سنة ١٤٢٧ اتى ضباب معتم ومظلم وحدثت زوبعة هدمت ابنية وقلعت صخورا وقلبت الأشجار، كذلك صار في الرها سيل وثقب السكر المدعو سكر أوفى الرسول .

وفي هذا الزمان جلب ابن جالبي عين ماء الرها .

خبر اخوانية الرهبان الفرنج المدعويين داوية

وفي اول عهد مملكة بلدوين الثاني ملك القدس (١١١٨) خرج من رومية رجل فرنجي اسمه دفزير في ثلاثين فارسا من الاخوة الرهبان يريدون الحج الى القدس ، وعاهد ذلك الرجل نفسه انه لن يعود في اصحابه الى وطنه الا بعد ان يساعد ملك بيت المقدس مدة ثلاث سنوات في جميع المواقع الحربية، وانه اذا وفقه الله تعالى في بغيته عكف بقية حياته على اعمال الرهبنة في المدينة المقدسة ، فلما وصلوا الى القدس واكملوا الفروض الدينية اخذوا يختلفون الى المعارك الحربية، فابلوا بلاء حسنا مدة الأعوام الثلاثة .

على ان بلدوين الملك وارباب دولته لما راوا ما هم عليه من البسالة والشجاعة اشاروا عليهم ان يستخدموا في الجندية ليصونوا الاراضي المقدسة من هجمات الأعداء ، ويعدلوا عن الانقطاع الى احد الديرة ، فأجاب ذلك الرئيس ورهبانه الى مشورتهم فخصصوا بيت سليمان الملك لاقامتهم وعينوا لهم بعض القرى لمعيشتهم ، وتكرم عليهم البطريرك بشيء من ريع الأوقاف الكنسية .

بناء عليه ابرم اولئك الرهبان عهدا على نفوسهم امام الله ، ان يسيروا سيرة الرهبان، وقرروا انهم لن يتشربوا بزواج ، ولا يختلفون الى حمام ولا يستبدون بملك او عقار بل يجعلون اموالهم باسرها عمومية مشاعة ، ومامر القليل من الزمن حتى اشتهروا شهرة عظيمة وضاع شذا اعمالهم المجيدة في جميع البلاد القريبة والسحيقة، واقبل الملوك وابناء السلاطين والعظماء والعوام وانخرطوا في سلكهم واتخذوا معهم إتحادا اخويا روحيا ، وكان كل من ينضم اليهم يتنازل لهم عما ملكته يداه من المال ، فأزدادوا في برهة من الزمان ونموا نموا عجيبا واستولوا على امكنة شتى في فلسطين وايطاليا ورومية ، وانشأوا لهم قوانين وضوابط حتموا ان يقوموا بها .

وكانوا اذا قصدهم احد للانضمام في سلكهم اضطروه ان ينزوي في قلايته سنة كاملة يعمل الروية في مآنواه ، وكانوا يتلون عليه تلك القوانين سبع مرات ، ويقولون له في كل مرة احذر وانتبه لئلا تندم فيما بعد او يتعذر عليك الثبات حتى النهاية في حفظ هذه القوانين ، والا فالخليق بك ان تطلعنا على مكنونات قلبك وتعود الى بيتك .
وكانوا اذا وافق احد على تلك القوانين ورضي بها طوعا ونذر ان يحفظها ويعمل بها صلوا عليه وشحوه بثوبهم ، واذا اتفق فنكث احدهم وخالف نذره ضربوه بالسيف واستعملوا قتله .

اما قانونهم فكان يشتمل على عدة بنود : اخصها انه لايجوز لكائن من كان منهم ان يملك شيئا خصوصا لابيتنا ولاذهبنا ولاقناعا ، وان لا يذهب الى اي محل كان دون اذن الرئيس ، ولا يرقد الا في بيت الرهبان ، ولا ياكل على مائدة العوام ، وان يذهب طوعا الى حيث يؤمر مهما كلفة ذلك من المشقة ، ولو افضى به ذلك الى الموت ، ويلزمه ايضا ان يوفي بنذره هذا فيخدم في الجندية حبا للدين حتى الممات .

وكان اذا توفي احدهم اقام له كل فرد منهم اربعين قداسا ، واطعموا لاجله اربعين مسكينا مدة اربعين يوما ، وذكروا اسمه في قداساتهم على مدى الازمان ، واعتبروا من مات منهم في ساحة الحرب شهيدا ، اما من كان يخفي عنهم شيئا ويحتفظ به لنفسه فكانوا لا يحتفلون بدفنه ، وكانت ثيابهم جميعا بيضاء بسيطة لايجوز لهم ان يتزينوا بزى اخر ، وكانوا اذا رقدوا رقدوا لابسين ثوبهم الرهباني ورنارهم .

وكانوا ياكلون اللحم ايام الاحد والثلاثاء والخميس ، وكانوا يقتصرون في سائر الايام على اكل الحليب والبيض والجبن ، وكانوا يشربون الخمر يوميا وقت الغذاء فقط ، اما قساوستهم وشمامستهم فكانوا يمارسون الصلوات والطقوس في الكنائس ، وكان قوادهم وضباطهم وفرسانهم يصلون صلواتهم وهم مزاولون مناصبهم الجندية ، وكان رجالتهم يقضون فروضهم

الدينية وهم في ساحة الوغى ، أما الصناع والفلاحون فكانوا يمارسون فروضهم وقت العمل، وابتنوا لهم في كل مدينة وقرية بيتا خصوصا يتولى شؤونه رئيس ومدبر يأتمر كل من فيه بأمر ذلك الرئيس ونهيه ، أما رئيسهم العام فكان يسكن في القدس وكانت أوامره تشمل الجميع على حد سواء ، ولم يكن له ان يتمتع ويتفرد بشيء خاص أصلا ، واتصف هؤلاء الرهبان خصوصا بأعمال الرحمة فكانوا يوزعون على المساكين عامة عشر ما يصيبهم من الغلال كالقمح والخمر وغيرهما ، وكانوا كلما خبزوا خبزا في أحد ديرتهم أو بيوتهم وزعوا على الفقراء عشره مع كل ما كان يفضل من طعامهم . وكانوا يوزعون أيضا خبزا وخبرا على المساكين مرتين في الأسبوع .

وفي عنفوان امرهم اخذوا يتولون حراسة الجنود اثناء اختلافهم الى تادية فروض العبادة والصلاة وقت خمود نيران المعارك ، ثم اخذوا يخرجون مع ملوكهم لمحاربة الترك فنموا نموا عجيبا حتى بلغوا مائة الف راهب ، وامتلكوا قلاعا وحصونا منيعة في جميع البلاد التي احتلها المسيحيون ، وازدادت لديهم الأرزاق والأموال والأسلحة ، وتوفرت عندهم القطعان والغنم والبقر والخنازير والجمال والخيول أكثر من جميع الملوك ، وعلى الرغم من كثرة أملاكهم كانوا زاهدين متجردين كأنهم لا يملكون شيئا البتة ، وكانوا يعتبرون ويحبون على حد سواء كل من آمن بالصليب وسجد له .

وأنشأوا في جميع الأماكن التي شغلوها ولا سيما في القدس مستشفيات أو ملاجئ للمرضى أقاموا فيها خداما يعتنون بهم ويسهرون على شفائهم . فكانوا ينقلون اليها كل غريب أصيب بمرض ويعالجونه حتى يصح . فاذا تعاف اعطوه زادا وسرحوه بسلام واذا توفي شيعوه باكرام (٣)

واتفق لهؤلاء الأخوة الرهبان الداوية انهم حين حدوث المجاعة الشديدة في القدس واصلوا توزيع الخبز على المساكين كمألوف

عاداتهم الحميدة حتى كادت تنتهي مؤونتهم وتفرغ اهراؤهم . فأبلغ الوكلاء رؤساءهم ومديريهم وسألوهم أن يشرفوا على تلك المخازن استديراكا للخطر ، فيروا بأمر عينهم ما تبقى فيها من الذخائر الزهيدة، فعدوا مجمعا وتفاوضوا في ذلك الأمر الخطير فقالوا : إننا إذا حررنا المساكين ما يبقى لدينا من المؤن فلا تعود تكفي لنا أيضا ، فالأجدد أن نواصل التوزيع كعادتنا إذ اننا مساكين ويلزمننا أن نحكي المساكين في شدتهم إن جاعوا جعنا معهم ، وإن ماتوا متنا معهم . وبعد أن أبدوا اتفاقهم هذا وأثبتوه جميعا ثابروا على التوزيع كعادتهم فتعهدهم الله بغزير مراحمه كما تعهد الوفاء الجياح في القفر وأشبعهم بقليل من الأرفة ، على أن الوكلاء تفقدوا الأهراءات يومئذ فالفوها مشحونة بالقمح والشعير والخمر وسائر الحبوب ، وذاع أمر تلك الأعجوبة الباهرة في جميع البلدان . وحمد الله تعالى كل إنسان

وفاة تنكرد

في سنة ١٤٢٥ مات تنكرد حاكم انطاكية وملك بعده ابن اخته روجيل وقد كسر هذا برسق التركي وكان ذلك في ٢٦ ايلول من تلك السنة.

وفي السنة عينها كان تركي يتولى قلعة زياد فمضى وسبى سكان البلد وباعهم عبدا.

كذلك ابراهيم سبى بلاد عرقة وامتلات ملطية أسرى ، حينئذ أظهر المؤمنين حرارة الأمانة فخلصوا الجميع.

(احوال الأرمن)

كان أمراء الأرمن يتولون بعض الجبال والقلاع والمدن في بلاد الجزيرة وقلقية ، وكان الفرنج تارة والروم طورا يستعملونهم عليها ، وكانت امرأة باسيل يومئذ تتولى سميساط ومرعش وكيسوم، وتحت امرتها عدد كبير من الفرسان والمشاة، وكانت تدفع لكل فارس اثني عشر دينارا ذهبيا في الشهر ، ولكل جندي من المشاة ثلاثة دنانير ذهبية ، وكان أولاد قسطنطين بن روبين في قليقيه وميخائيل واهنس في جرجر. وباسيل اللص في رعبان وكيسوم وقلعة الروم ، وقسطنطين وتبتوغ وبيستفور أبناء سنبل في سميساط ، وكان أبناء سنبل سريانا مخالفين لباسيل اللص، وباسيل الفتى الذي تربى عند امرأة كوغ يبغض السريان بغضا شديدا ، فاحتل الدير المعروف بدير الأحمر عند كيسوم ، وكان هذا الدير لجماعتنا منذ أجيال بعيدة ، فطرد الرهبان وولى عليه غريغوريوس الجاثليق ، ونفى رهبان دير حصن عرنديش وأنزل بهم ألوان العذاب ، وأقام فيه الحراس والعسكر فلم يتيسر للفرنج أن يتغلبوا عليه فزوجه امرأة افرنجية يقال لها كلاماري فأماتته مسموما.

وما دنا سردنا أخبار الأحداث حسب تسلسل السنين دعونا نوضح أنه في سنة ١٤٢٣ استولى أتاك سلطان ملطية على بلاد جيحان من الأفرنج.

وفي سنة ١٤٢٤ خرجت امرأة قلعج أرسلان من ملطية وتركت أولادها عند أتاكهم، ومضت الى بك أمير بابولا وقالت له : إنني سمعت السلطان يقول أن ليس بين أمراء الترك في هذه البلاد مثل بك رجلا جبارا وحكيما ، ولهذا السبب وثقت به وبوساطته حفظت مكانتي وهو عظيم جدا .

ولما رجعت خاتون من عند بك طردت الأتابك وجلبت هي وابنتها بالقلعة حينئذ تضايق ذلك التركي الذي في قلعة زياد فباعها لسلطان ملطية ، واخذ عوضها ذهباً وأماكناً ، ولما دخل رجال سلطان ملطية الى القلعة قدم نحوهم ابن سلطان خراسان فجأة بجيش عظيم ، فسلموا حصن زياد هذا لابن سلطان خراسان دون حرب ، وللحال تم الصلح .

وفي سنة ١٤٢٩ أغار أمير منبج وحاكم قامح على بلاد ملطية . في ١٥ آذار فنهب وسبى ، فأرسلت خاتون ملكه ملطية الى جوسلين حاكم الرها وأقامت معه صلحاً لكي يساعدها .

وتوفي في سنة ١٤٢٨ يونانية (١١١٧ م) الخليفة المستظهر ، وفي شهر آب في هذا العام توفي أيضاً الكيس ملك الروم ذلك الحكيم الجبار وهو بحكمته نجى مدينتهم من الأفرنج ومن القوفيين والصربيين والبلاكيين ، وقد جاهد ضد كل هؤلاء وحفظ مملكته ودبرها بالاستقامة تسع وعشرين سنة ، ثم ملك بعده ابنه يوحنا في سنة ١٤٢٩ ، فتأمر عليه أخوه وأخته وأمه فوضع أخوه وأخته في السجن وجعل أمه راهبة ، وعندها استتب له المملكة .

في تشرين الأول عام ١٤٠٦ توفي اغناطيوس المؤرخ مطران ملطية ورسم عوضاً عنه مار اثناسيوس سعيد بن الصابوني المتبحر بالعلم والكتاب الماهر في خطنا السرياني هذا والخط اليوناني ، وقد ارتسم في عيد الصعود في تلك السنة في قان قرن بنواحي آمد ودعي يوحنا ، ولأن انتخابه تم بموافقة جبرائيل الحاكوز ، فقد دخل المدينة وهي محاصره من الترك ، وفي اليوم الذي دخلها أغلقت أبوابها وكان يحاصرها ويعزلها سلطان قونية قلع أرسلان ، فطلب جبرائيل من المطران أن يشترك مع الحراس في الحراسة ، فشرع يداوم على ذلك طوال العام بكل اخلاص .

ثم أرسل السلطان رسولا من عنده شماسا فقال للمطران وكان جبرائيل موجودا في المقابلة :

يقول لكم السلطان أن تعطوه المدينة سلما وهو يعاهدكم بالآمن وسيفدق عليكم الخيرات ، والافسوف يأخذها بحد السيف ، عندها فان الله سوف يطالبكم بدم كل الشعب، فأجاب المطران البار الشماس: لم يستطع أحد أن يأخذ هذه المدينة بالحرب منذ القدم وحتى الآن ، وإن فيها خبزا لعشر سنوات وأكثر ، ثم اطلق الشماس ، لكن جبرائيل التفت الى المطران البار وقال :اسمع مني ياسيدي انه لخير لنا ان نسلم المدينة بارادتنا ، لكن المطران البارحين سمع ذلك رفض ، فابتدأ جبرائيل يبغض المطران. اما اليونانيين فأخذوا يحتقرون كثيرا هذا البار لأنه كان يخزي الأفرنج في تعليمه ، وكانوا يتهمونه بأنه يريد ان يسلم المدينة للترك ، وصدق ان كان البار على السور يوم الجمعة يحرس وأثناء خدمة ثالث ساعة أخذ يتكلم بين الشعب بكل محبة ووداعة ، وكان الشعب يلتف حوله فاغتاظ جبرائيل واليونانيون من محبة الشعب له والتفافهم حوله ، ففكروا أن يقتلوه ، ولما نزل عن السور قالوا له : إن جبرائيل قد أمر أن يقتل رجل مؤمن بحد السيف ، فذهب اليه ليلا ليشفع لذلك المظلوم عنده ، فوجد جبرائيل الأثيم على فرس خارجا بين السورين وحوله جنود فأخذ يتضرع له المطران البار قائلا : أشفق على المساكين ، من الخارج قتل ، ومن الداخل قتل ايضا، لكن المنافع ملكونه نوى أن يقتل المطران البار ، فقال وانت يا كذا وكذا تريد ان تسلم المدينة للترك ، حينئذ قال لأحد الجنود ، وكان يحمل حربة :إضربه فلم يتجرا ، فأخذ الحربة بيده وضرب بها البار على رأسه فقتله ، وكان ذلك يوم الجمعة في تموز سنة ١٤٠٦، اما القساوسة الذين كانوا هناك فقد هربوا وتبددوا وضجت المدينة كلها واجتمعت الجموع حيث استشهد البار ، اما جبرائيل القاتل فقد خاف لما رأى هذا الجمع الحاشد فأصر على أن يدخلوا البار الى البستان ويخفوه بين القصب ، وبعد يومين سجي جسده في بيعة الساعي الكبيرة.

فاما البطريرك اثناسيوس لكونه لم يقدر أن يدبر امور البيعة بسبب تدخل عبدون المتمرد فقد سافر الى بغداد وقابل الخليفة أبو

- ٢٠٥٢ -

جعفر عبد الله القائم بالله ، واحضر منه كتابا الى كل الحكام وولاه المملكة في اثور والجزيرة وبين النهرين وكل سورية كبدوكيه والى العرب والترک يأمر أن يقبل اثناسيوس ويعزل عبدون .

عبدون المتمرد رسم أربعة اساقفه هم : اياونيس اسقف تلمحرون الذي اكلته الكلاب ، وأبدوخوس اسقف عرقه الذي طرد وصار هرطقيا، وايجنا اسقف ماردين الذي انقلب بالتوبة ، وابن كوريزا الذي اسلم في امد .

اخبار البيعة في هذا الزمان

بعد ان رجع البطريرك من بغداد بفترة قليلة توفي عبدون العاصي في حصن منصور ، فأمر ان يقبر امام باب البيعة لكي يدوسه كل من يدخل اليها ، لأنه أخطأ بحسب بيعة الرب ، فأما البطريرك ساراثناسيوس فقد جمع الأساقفة وصنع له جنازا وصلاة للغفران وقد قال : صحيح انه أحب الرئاسة وداس القوانين المقدسة لأجل ذلك ، لكنه لم ينحرف عن الأمانة المستقيمة المجد ، فيجب ان نصلي له ليرحمه الرب ويرحم كل خاطيء .

وبعد ان قتل سعيد بن صابوني وخرب الأتراك المدينة أدخل البطريرك ديونيسيوس اسقف غوبوس ابن المعترف وأقامه مطرانا للمطية ، لأنه كان معلما وحكما وذلك في أول كانون الأول عام ١٤١٣ ، وكان ديونيسيوس الذي أدخل الى مطية قد تتلمذ في دير ابن جاجي عند مار يوحنا البطريرك ابن شوشن ، ثم ارتسم اسقف لغوبوس ، ولما خربت بلاد غوبوس اثناء الخروج الأول للترك اتى هذا الى دير مار برصوم حيث نظم الدير ورتب الخدمة كما كانت في دير ابن جاجي ، وفي شيخوخته رسمه البطريرك على كرسي مطية ، فلما وجدها فقيرة في العلم اهتم بها ، وجدد بها التعليم ، وكان يعلم في العهدين القديم والجديد ، وكتب المعلمين الأوائل ، وكذلك كان يعلم الكتابة ، وبعد هذا رسم البطريرك مطرانا للرها ابو غالب ابن صابوني أخو سعيد الذي قتل في مطية ، لأن هذين الأخوين كانا مشهورين بالعلوم الكنسية ، وفي المعارف الخارجية وفي الكتابة باللغتين ، وبالجدال ضد الهرطقة ، وبالاختصار كانا المع كل أفراد جيلهم من المستقيمين المجد . وكان سعيد الذي ارتسم للمطية قد دعي يوحنا ، لكن بعد اربعين يوما من رسامته قتله جبرائيل بمطية كما أوضحنا من قبل .

وابو غالب الذي رسم مطرانا للرهما دعي باسيلوس لكن قبل كمال الأربعين يوم حدثت مشاجرة بينه وبين البطريرك فحرمه وبقي بعيدا عن الخدمة لكونه قام في وجه البطريرك ، لكن بسبب هذا الخصام صار انشقاق في البيعة كما سنوضح .

ولما ملك الافرنج انطاكية اخرجوا اليونانيين من البيع الكبيرة وطردوا رؤساء كهنتهم ، واقاموا بطريركا من شعبهم ووضعوا مطارنة في طرسوس والمصيصة والرهما ومنبج وافاميا ، كذلك وضعوا مطارنة في طرابلس واللاذقية وجبله وقورس ومرعش وحارم واقاموا لهم بطريركا في القدس ، ورسم اساقفة لبيت لحم ولحبرون والسامرة وليافا والناصره وقيسارية وصيدا وبيروت ، ولما استولوا على صور رسم لصور اسقفا ايضا لانهم لما طلبوا نفقة من بطريرك انطاكية على رحيلها لم يعطهم ، وكان اسم اول مطران قام للفرنج في الرهما مبارك ، وقد تراءت له رؤيا حول جسدي اري وابجر حيث وجدتهما في صندوق ماريوحنا .

وخلال السنوات الثلاث التي حاصر بها الدانشمند ملطية حدث بها جوع عظيم وبيعت حنطة الحاكم بدينار للمد .

وفي سنة ١٤١٣ تبطل بدء صوم المسيحيين بملطية وفي البلاد كلها بما فيها القسطنطينية فصام السريان والأرمن في ٨ شباط ووضعو الفصح في ١٣ نيسان ، اما الخلقينيين فصنعوا العيد في ٢٦ نيسان ، ولما علموا ان النور قد فاض على القبر في القدس في ١٣ نيسان صار اليونانيون يجدفوا على النور لأنه تطابق مع عيد السريان والأرمن .

وفي سنة ١٤١٤ في بدء الصوم ، أي في الأسبوع الأول من شهر شباط حدث زلزال كبير دام يوما في كل مكان ، وقال الجميع ربما صار هذا لأجل اختلاف المسيحيين حتى في الصوم ، وهذا دلالة على غضب الرب .

فصل ثان عن أخبار البيعة

يارب اعن! لما اخذ الافرنج فلسطين اخرجوا منها المصريين واتوا الى حبرون حيث بنوا هيكلًا مجيدًا ، كذلك اوجدت مغارة المضاعفة التي اشتراها ابراهيم ، وكان بها ثلاثة قبور للآباء فزينوها ببنيان عجيب .

اما سبب الخلاف الذي صار بهذا الزمان في بيعتنا فكان ان لما ارتسم ابن صابوني مطرانًا للرها طلب البطريرك منه ومن الرهاويين الأناجيل التي كانت في خزانة البطريركية ، لكن لما وقعت بيد عبدون العاصي وضعها رهنا بالرها ، واخذ ذهبًا ورشى الحكام في ذلك الزمان ، فلما طالبه البطريرك وعد ابو غالب مع الرهاويين الذين حضروا رسامته انهم بمجرد رجوعهم الى الرها سيرسلون هذه الكتب المصفحة بالفضة والذهب ، وقد كتب ابن صابوني تعهدًا بيده انه ان لم يرسلها فلن يكون له سلطان ان يخدم رئاسمة الكهنوت ، ولما ارتسم ومضى رفض ان يعطيها ، وكان يحتج بأن اكابر الرها منعوه ان يعطيها ولهذا السبب زرعت بذور الفتنة وحرم البطريرك ابن صابوني قائلًا : كما وكتبت بيديك فأنت محروم وليس لك سلطان لأن تخدم ، او تدعى رئيس كهنة اما هو فقال : ان هذا الحرمان لايسري عليه لأنه ليس بارادته امسك الكتب .

وأما الرهاويون فصاروا فرقتين منهم من كان مع البطريرك وضد المطران، ومنهم من كان مع المطران ويشجعه على التمرد ، حتى أنه تجرأ ورسم قساوسة وشمامسة وهو محروم ، حينئذ صار اضطراب بكل البيعة وخاصة بالرها ، وكان حاكمها الفرنجي يساعد المطران وقد ارسل مرارا كثيرة القساوسة ، واكابر المدينة ومعهم اناس من الافرنج ليطالبوا من البطريرك ان يحل حرمانه فلم يقبل ، ثم أتى أيضا مطران ملطية مارديونسيوس ومعه سبعين

رجلا مؤمنين الى البطريرك في دير ماربرصوما وخرروا على وجوههم امام رجلية وقالوا : مانرفع وجوهنا عن الأرض حتى تحل حرمان مطران الرها ، ولم يقبل وبعد هذا اجتمع الاساقفة كلهم وسألوا البطريرك ان يعيده الى حظيرة الكنيسة واجابهم قائلا : في نيسان تعالوا جميعكم ويأتي هو أيضا وعندها يصير الحل ، وبهذه الحجة ارسلهم فارغين ولم يجمع مجمعا ليغفر لابن صابوني ، بل عزل الشيخ ابن المعترف من رعاية ملطية لكونه كان يدافع عن ابن صابوني ، وقد خدم المطران ديونسيوس رئاسة الكهنوت بملطية اثنتي عشرة سنة وعلم ورتب ووضع بها عادات مستقيمة ، واغناها بالعلوم التي مازالت الى اليوم يعلمون بها بعد ان تسلسلت من جيل الى جيل ، ولما أخرجه منها البطريرك بقي وحيدا ، اما السبب الذي لأجله لم يجمع البطريرك مجمعا كما وعد فهو انه لما خرجوا من عنده مشككين لعدم قبول طلبهم، كتب ديونسيوس مطران ملطية وطيماتاوس اسقف قليسورية وديونيس اسقف جيحان وقرروا ان عقد البطريرك مجمع كما وعد فسيسشهدوا ان ابن الصابوني مظلوم ، وان لم يصنع جمعا فان ابن الصابوني سيكون أيضا محلولا من حرمانه ، فلما سمع البطريرك اغتاض جدا خصوصا من المطاردين ، ولم يجمع جمعا بل وأخذ ملطية من غوبوس ابن المعترف ودعا اليشع راعي دير البارد ورسّمه عليها ، ودعا اياونيس فوصل اليها في تشرين الثاني ١٤٢٥، ثم طلب منه الحاكم زهبا فدفعت عنه اهل المدينة مائتي دينار وقبلوه عندهم ، وأخيرا لما أحسوا انه يحب معاقرة الخمر احتقره جميع الناس ونبذوه

حروب الأمير ايلغازي بن ارتق

وفي سنة ١٤٣٠ في شهر ايار جمع الأمير غازي ابن دانشمند (٤) سبعة الاف من الترك وبذل الى بلاد انطاكية فخرج الى لقائهم رجيذ صاحب انطاكية مع رجال كثيرين ، فكمن لهم الأتراك ووقع الأفرنج في الكمين فأحاط بهم وقتل كثيرا منهم ، وقد قتل غازي بن دانشمند رجيذ صاحب انطاكية وسبى الترك البلاد ، واحتلوا كثيرا من القلاع ، وقتلوا جملة من الرهبان في الجبل الأسود ، وبقي الأتراك ايام كثيرة في تلك البلاد ، وقد صنعوا قطاعات مروعة ، وحين سمع بلدوني ملك القدس اتي ، فلما سمع الترك بان الملك قادم كمنوا له ايضا، لكن الملك اكتشف الترك ، وطاردهم وكسرهم لكن الذين كانوا يكمنون من الخلف انقضوا على العساكر الرجالة وقتلوا كثيرين منهم الى أن احس الملك ، فكر عليهم وقتل الذين كانوا يكمنون كليا ، ثم طارد غازي فهرب مع الترك ، فذهب بعضهم الى حلب وبعضهم الآخر مع غازي ، وقد لحقت بالترك ضربة عظيمة .

وفي ذلك اليوم خلص الأفرنج الذين نجوا من القتل خلصوا الأسرى الذين سباهم الأتراك في البلاد ، وبخلوا مع الملك الى مدينة انطاكية .

وفي تلك السنة تملك سلطان ملطية ضييع بلاد جيحان وابلسنتين .

وفي شباط من تلك السنة سبى الأفرنج بلاد جرجر ، وأما اليونانيون فقد اصطفوا على ساحل البحر مقابل الترك مدة شهرين ثم عادوا بون حرب .

وغزا سلطان ملطية مع ملك بلدة قماج ، فهرب صاحب تلك البلاد ابن قلج أرسلان الى طرابزون ، والتجأ لليونانيين فاتى معه

جيراس ، ثم ان بلك وسُلطان ملطية غازي بن داندشمذد اتفقا ، ولما صارت الحرب انكسر اليونانيون واسر جيراس وابسن قلعج أرسلان ، فبيع جيراس بثلاثين الف دينار ، اما ابن قلعج أرسلان فخلصه غازي لانه كان ختته، وبهذا صارت عداوة بين السلطان من جهة وبلك وغازي من جهة ثانية .

وخرج يوحنا ملك اليونانيين في تلك السنة واخذ ثلاث قلاع من الترك .

وجمع غازي عسكرا ، وبذل الى بلاد الرها واحرق الغلال واذا لم يجد عساكر تمنعه او تصدمه تابع سيره الى بلاد انطاكية وسبى ورجع الى بلاده وتملك بلك قلعة زياد والبلاد التي حولها ، وصارت ملطية تحت امره وكان يخيف كل الأمراء .

اما الأرمن الذين في جرجر فكانوا يخربون بلادهم بالسرقه ، فأرسل الى ميخائيل الذي في جرجر يتعهد ان يعطيه كل سنة الف حمل حنطة ان كان يمنع الأرمن من السرقه ، وأعطاه ثلاث قرى في بلاده فحلف ميخائيل عدة مرات لبلك لكنه لم يف بعهده ، وذات يوم بينما كان يرسل الحنطة هاجم لصوب ميخائيل واحرقوا قريتين بهنزيط ونهبوا كثيرا وقتلوا الترك الذين كانوا يرافقون ارسالية الحنطة وكانوا غير مسلحين معتمدين في ذلك على الصلح الذي صنعه وعلى هدية الحنطة التي يرافقوها ، ولما علم بلك بما جرى غضب واحتمل على الأرمن واصطادهم ، واهلكهم ، ففي الشتاء القاسي حيث كانت الجبال مملوءة بالثلج الكثير واهل جرجر قابعين لا يفكزون بشيء ولا يضعون حراساء عبر بلك على مياه الفرات المتجلدة الى جوباس ، وخذع اهل جرجر فأوهمهم بانهم ماض الى ابعد من منطقتهم وسير امامه الوف الخيل الى جبل العسر المكني الشمعة ، وهكذا أندثر الثلج وسار العسكر وخلال يوم واحد وصلوا الى دير ماربرصوما ، وفي تلك الليلة عبروا جبل جرجر وفي الصباح هجم بلك على البلدة الشقية وسبهاها وكان ذلك يوم الاثنين في اول كانون الثاني

سنة ١٤٣٢ ، ولم ينج من ايادي الترك لابطشر ولا بهائم ، لقد حرقوا كل شيء وخرجوا ، وبقيت البلاد خالية ، واما بك فقد صنع رحمة كثيرة مع الشعب ، فلم يسمح أن يهلك منهم أحد ، ولم يجعلهم اسرى بل هم وبهائمهم وكل ما لهم حفظه لهم ، واعطاهم قرى واسكنهم في بلدة هنزيط وحلفهم أن لا يرجعوا لجرجر ، اما من يهرب ويعود الى جرجر فانه متى اقبل مرة ثانية اليها فسوف يؤخذ عبدا ، وهكذا صار لأن بعد سنة اتى بك لجرجر وقد أخذ كل الذين وجدهم عبيدا ، واحرق القرى والكروم والزيتون ثم اتى عليه جوسلين فهرب بك للجبل فلم يقدر عليه الا فرنج فرجعوا ، اما هو فرجع الى بلده .

وفي سنة ١٤٣٣ ارسل سلطان خراسان مائة ألف من العسكر و دخلوا الى بلاد الترك لكي يملكوا هناك ايضا ، ففسد عليهم ملك الأتراك المعابر من كل جانب وقتلهم كلهم بحد السيف .

وفي تلك السنة سبى جوسلين بلاد جوباس ، وفي تلك السنة ايضا قتل يوحنا ملك اليونانيين شعب القومنيين « الكومان » وصاروا عبيدا لليونانيين ، وقد كتب البشار بسيلليوس مطران الرها عن القومنيين لأنه كان هناك ، فقال : لما اتى القومنيون الى القسطنطينية احتال الملك يوحنا وعقد معهم سلاما ، ولما اختلطوا و دخلوا المدائن والقسطنطينية اصدر الملك امرا بان يمسكوا بوقت واحد كل من يجده منهم اينما كان ، فأمسك منهم بمعسكر الملك نحو ثلاثة الاف ، وفي كل مدينة الذين وجدوا منهم ، وفي اليوم الذي امسكوا به مضى الملك وعساكره الى معسكرهم ، فاما هم فحسب عاداتهم فقد احاطوا بمعسكرهم بأبراج من خشب وصاروا يحاربون ، فنزل الملك عن فرسه وامر كل الفرسان ان ينزلوا عن مطاياهم ، ويحاربوا وهكذا اشتد الحرب وقفزوا و دخلوا وقتلوا اكثرهم ، وامسكوا اكابرهم وغيرهم كثير ، وجروهم عبيدا للقسطنطينية وصار هدوء عظيم في عهد هذا الملك بعد انتصاره على هؤلاء القومنيين .

- ٢٠٦٠ -

أما القومنيون فهم جزء من الأتراك ولسانهم تركي لكنهم لا يؤمنوا بموسى أو بالمسيح أو بمحمد أو بالأنبياء كافة ، كانوا حيثما يذهبوا يأخذوا نساءهم وأولادهم وبيوتهم معهم ويضعوهم في الأبراج الخشبية التي يصنعونها حول مقر سكنهم .

وبهذا الزمان صعدوا من شاطئ نهر نجيس وأتوا ليملكوا القسطنطينية الى ان كسرهم هذا الملك كسرة عظيمة،ومن ثم اصبحوا عبيدا في مملكة اليونانيين .

اسر بلك ملك بيت المقدس بلدوين

في سنة ١٤٣٤ نزل الأمير بلك الى بلاد انطاكية واجتمع الأفرنج لمقابلته وقد بقي الجيشان معسكران وجها لوجه مدة اربعة اشهر ثم تفرقوا بغير حرب .

فاما جوسلين الوالي لما توفيت امراته وهي ابنة رجير حاكم انطاكية، اراد ان يأخذها الى الرها فصنع له بلك كميناً في الطريق ، وامسكه وارسله لبولا وصار لبلك اسماً كبيراً عند الأتراك ، فاجتمعت اليه الشعوب وبذل ايضاً الى بلاد الأفرنج ، اما ميخائيل الأرمني الذي كان في جرجر فلما رأى الترك قد تسلطوا اعطى جرجر للملك واخذ له مكاناً في بلاده فلما أخذ الملك جرجر ووضع محارس وجمع عساكره اتى ليطرد الترك من بلاد حصن منصور وكيسوم .

وحين كان الأفرنج متوجهون على نهر سنجة خرج عليهم فجأة بلك من كمين كان قد نصبه لهم، وخربوا معسكر الأفرنج وامسكوا الملك، وقتلوا الذين معه، وكذلك امسكوا جوسلين وغاليران ، وكان ذلك ليلة عيد الصليب كذلك اعتقلوا بلدوين الملك يوم الأربعاء جمعة البياض من تلك السنة ، ولما صار ملك القدس اسيراً وبقيت البلاد بغير رئيس او سيد اراد المصريون ان يملكوا القدس وبأقبي البلاد ، فأرسلوا جيشين واحداً في البر وآخر في البحر ، اما جيش البر فقد انكسر وفقدوا جمالهم وكل أموالهم وانخلوها الى القدس ، وقد فرح الأفرنج ووقفوا للصلاة والصوم واحد وعشرين يوماً .

اما الجيش الآخر والذي كان يبحر على ظهر السفن، فعندما وصل الى عكا، كان شعب البنادقة قد وصلوا في ذلك الوقت للزيارة، فلما

راوا العرب في البحر اصطفوا مع الأفرنج وحدثت معركة انتصر فيها الأفرنج ، حينئذ عادت الثقة لأهل القدس فهجموا على صور .

أما بلق فإنه لما أمسك ملك الأفرنج نزل على حصن منصور فأعطوه إياه صلحا ، لكن الترك القسامة سبوا الشعب وأحرقوا المدينة والبلاد ، حينئذ انسحب الأفرنج من جرجر أيضا ، فدخلها الترك أيضا أما بلق فسجن الملك وجوسلين وباقي الأفرنج في قلعة زياد في قلب بئر عميق ، ونزل فاستولى على حران وحلب من العرب وتل باشر ، وثلاث قلاع أخرى من عرب الأفرنج ، حينئذ حدث تمرد عليه في قلعة زياد ، فأناس من الأرمن كانوا داخل القلعة يعملون في البناء ، ولما نظروا أن القلعة فارغة وليس فيها إلا القليل من الحراس اجتمعوا عند الباب وصاروا يدممون لأجل أجرتهم ، ثم هجموا فجأة وحملوا السيوف التي كانت موضوعة عند الباب ، وقتلوا ثلاثة رجال من حراس الباب ، وأخرجوا الملك وجوسلين والباقي ، وقتلوا العرب واستولوا على القلعة فاجتمع أهل المدينة وأخذوا يقاتلونهم ، حينئذ تحيل جوسلين وخرج ليلا برفقة رجل أرمني وأقسم للملك أن يجمع عسكرا يعود لأنهم لم يستطيعوا لأن يحافظوا على القلعة ، ولأن يأخذوا الملك معهم ، ولما مضى جوسلين وصل بلق ونصب أربع منجنيقات وهدم الأسوار ، حينئذ خرج الأفرنج وبعد أن عذبوهم بمرارة قتلوا منهم سبعين رجلا ، ثم أخذ معه الملك وغالران ابن اخته ، ورجع عاجلا لأنه كان يريد أن يستولي على كل المسكونة ، ولما حل على مرعش أرسل المرعشيون يستنجدون بجوسلين ضد بلق مقابل أن يؤديوا له جزية ، فأتى جوسلين واشتبكوا في حرب من الصباح إلى المساء ، فقتل حاكم كيسيوم المدعو مونيجوفري ، وقد كان هذا بعدما خرج من رومية راهبا أدى بطولات في القدس أثناء الحرب ، فصنعوه رئيسا للعسكر ، ولما تجول الملك ليحفظ البلاد أحضره وأعطاه كيسوم ورعبان ومرعش ، وقد قتل بهذه الحرب فأوقفت المعارك ، وفي الصباح قام بلق وتقدم إلى السور ليريهم أين يجب أن يضعوا المنجنيق فأتاه سهم من حارس كان يقف في أعلى

- ٢٠٦٣ -

السيور فأصاب منه مقتلا ، فهربت العساكر الى حلب واقامت لها
رئيسا هو ابن عم بك ، لكن هذا باع الملك بمائة الف دينار ، فرجع
الملك بلدوين الى القدس ، ورجع بعض الأتراك الى قلعة زياد واقاموا
لهم رئيسا اسمه سليمان رئيس اسرة الأراقة .

من نظر خطأ في هذه الأسطر الذميمة فليصل لراحة كاتبها
الكسلان .

في سنة ١٤٣١ يوم الخميس اول كانون الأخير صارت زلزلة
صعبة دامت ثلاث ساعات وفسدت أماكن كثيرة .

بهذا الزمان صار جوع عظيم في القدس وكان أولئك الأخوان
الذين يسمونهم داوية - أي الهيين - يعطون المساكين ويقدمون
كعاداتهم بغير نقصان ، ولما قلت الغلة التي كانت موجودة ، ولم
يبق سوى القليل قالوا فيما بينهم : إذا أوقفنا اطعام المساكين فإن
ما بقي يكفيننا ، ثم قرروا وقالوا لن نقطع عن المساكين شيئا بل نحن
والمساكين نقتات سوية بما تبقى الى ان ينتهي ، وحينئذ نموت نحن
والمساكين ، لكن الرب افتقدهم ، وهو الذي اشبع بالبرية من خبز
قليل كثير من الناس ، فدخل فجأة الوكلاء لبيوت المخازن فوجدوها
مملوءة بالحنطة والشعير والخمر والحبوب ، وانتشرت هذه
الاعجوبة في كل البلاد، ليتمجد اسم الرب .

وفي اول كانون الثاني سنة ١٤٣١ سقطت نار في وسط
القسطنطينية وفسدت عشرة الاف بيت وحانوت ، واتى الى ملطية
جراد طيار وأكل الزروع ، فأقاموا صلوات متصلة فلجأت افواه
الجراد ولم تعد تأكل شيئا ، فسلمت المزروعات، وبعد قليل خرج
جراد ناعم وأكل الأشجار والكروم لكنه في الحال اضمحل .

وفي هذه السنة غرقت مدينة بفارس اسمها اردبيل فجأة وصارت
بحيرة ماء ، وكل سكانها اختنقوا بداخلها .

وفي سنة ١٤٣٢ صار شتاء قاسي أربعين يوما، وتجلدت مياه
الفرات وباقي الأنهر وصار الناس يمشون على الأنهر .

وفي ٣ ايار من تلك السنة في ليلة الاثنين تراءى قوس كامل وهذا امر لم ير قط منذ اجيال ، واظن انه خارج عن الطبيعة او لعله فوق الطبيعة ، وكان يظهر كالقوس بالليل ، لأجل ذلك صار الأمر عجباً لكل من يشخص به ، ولكن كل شيء سهلاً للقادر على كل شيء ، وهو كل ما يشاء يصنع .

كامل هذا الخبر عن عجائب يصنعها الرب :

في سنة ١٤٣٣ في ١٨ كانون الأول صارت زلزلة اربع مرات بالليل وأربع مرات بالنهار ، وتشققت الصور في بلاد صمعا على شط الفرات ، وغرقت أماكن كثيرة ، وصارت قبورا لساكنيهم .

وفي سنة ١٤٣٤ صارت قلة في المطر وصار في كل موضع جوعاً عظيماً ، خصوصاً في ناحية المشرق .

وفي تلك السنة ايضاً وقعت نار بالقسطنطينية واحترقت فيها بيوت ودور وصار انكسار وانتصار ، أما لماذا هذا الأمر وكيف صار ، لا احد يعرف علته الا ذلك الذي وجده عالم بكل شيء ، وهو يعرف بالصحيح وقد صار على الشكل التالي . فجأة ابتدأت تجتمع طيور الشامهريج، اي ابو الحودنج، من موضع وأخذت تلتأم ، وكذلك اجتمع الكراكي وصاروا مجموعتين على نهر تسالكوم وظلوا مجتمعين لمدة أيام كثيرة ، وأخيراً كما شهد كثيرون من الذين رأوهم كانوا يرسلون مثل الرسل من معسكر لمعسكر خمسة او عشرة من الطيور، وبعدها تقاولوا كثيراً قفزوا بغتة وصرخ الجسانبان صرخة عظيمة ، وصاروا يضربون بعضهم بعضاً ويقتلون الواحد مع الآخر، والذين كانوا يضعفون كانوا يقعون ويموتون ، وهكذا سقط من الشامهريج ومن الكراكي الافا ، وتكومتوا تلالاً تلالاً على الأرض، وقد دامت بينهم هذه الحرب العظيمة من ثالث ساعة من النهار الى تاسع ساعة ، وأخيراً انكسرت طيور الشامهريج واكثرهم ماتوا ، أما الذين بقوا فقد هربوا ثم طار الكراكي في أثرهم فلاحقوهم في أوكارهم ، ومات لهم صغارهم في الأعشاش .

مجمـل الأحداث التـي وقعت بين عامي ٥٠٠ - ٥١٦

هذا القسم فيه اخبار كان يجب ان تقدم لأنها مقتبسة من كتاب تاريخي مكتوب بلغة عربية ويؤرخ بالسنة الهجرية القمرية ، وقد أدى هذا الى اختلاف في ترتيب الأعوام سببه الاختلاف بين الأعوام العربية القمرية، وبين الأعوام اليونانية الشمسية .

ومن هنا على القارىء ان يفهم ان الخبر المكتوب لاحقا حول نجم الدين الأرتقي ، الذي ملك على حلب يجب ان يكون متقدما على اخبار بلك التي ورتت مقدما ، لأنه بعد موت نجم الدين ملك بلك على حلب .

شروحات من كتب عربية في اثور واسباب قتالت انه في سنة ٥٠٠ للعرب كان ابو العباس أحمد المستظهر ، هو خليفة للعرب في بغداد ، وكان سلطان خراسان غياث الدنيا وقد قتل الاسماعيلية وزيره المسمى أبو مظفر (٥) وفي تلك السنة قتل الاسماعيلية كوسدكين احد رجالات السلطان، فتحرك السلطان غياث الدنيا وقتل كل الاسماعيلية ، الذين كانوا من العرب ، لكنهم طائفة لا تتبع لا العرب ولا الترك لا بالايمان ولا بالعوائد ، ويقولون عن المسيح انه هو الذي تنبأ عنه الأنبياء لكنه لم يصنع خلاصا لأن اليهود لما قاموا عليه ليقتلوه هرب الى السماء ، وهو مزعم ان يأتي وحينئذ يصنع خلاصا ، اما عن محمد (ص) فيقولون اقوالا سمجة ولا يقبلون القرآن، ويقدمون انفسهم للقتل بغير شفقة لكي ينتقموا من اعدائهم، على رجاء الذي سيصير لهم في العالم الأخير

وفي سنة ٥٠٠ للعرب ملك سيف الدولة صدقة بن دبيس على العرب، فأخذ تكريت .

وبهذه السنة كان في تكريت ديلمسي اسمه قباذ بن هزارسب ، وكان ظالما شريرا وقد خرب مسجد العرب الكبير الذي كان قريبا من القلعة ، ولما علا ضجيج العرب أخذ بيعة المسيحيين الكبيرة واعطاها للعرب .

وفي سنة ١٤٣٣ أخذ الحسين بيعة تكريت الكبيرة البهية المدعوة بيعة الجرداء مع اثائها وبورها وحوانيتها واعطاها للعرب ، ولما كثرت المصادمات بين المسيحيين والعرب ارسل السلطان الكبير غياث الدين اميرا اسمه اق سنقر فتحارب مع تكريت سبعة اشهر ولما تضايق حاكمها سلمها لصدقة ملك العرب وخرج منها، وبعد اربعة عشر يوما مات ، ولما سمع السلطان غياث الدين ان صدقة بن دبيس قد تملك على تكريت وتمرد عليه ، جمع عساكر الاتراك وزحف ضده ،

حينئذ جمع صدقة عساكر العرب وصار الحرب على النهر المدعو نقهرني (١) ، فانكسر العرب وقتل صدقة ملكهم وهنا انتهت مملكة العرب كليا.

وفي سنة ٥٠٠ هجرية سنين العربية اي سنة ١٤٣٣ يونانية بعد ثلاثة سنين من خروج الترك، وفي سنة ٥٠٢ للعرب خرج امير يدعى مودود بن التونتكين بمعرفة السلطان غياث الدين ليمضي ويقا تل الافرنج، واعطاه الموصل والجزيرة ونصيبين ، وامر جملة امراء ان يمشوا معه ، ولما وصل الى الموصل رفض جاولي ان يعطيها له، فاقام عليها المنجنيقات وشن حربا عنيفة ، وفي يوم الجمعة وفيما كان العرب في صلاتهم صعد رجال اقوياء الاسوار، لكن جاولي ورجاله تحصنوا بالقلعة ، حينئذ اقسام لهم مودود ان يعطيهم الامان ، فخرج جاولي ورجاله ومضى الى نجم الدين بن ارتق في ماردين، فاجتمعوا وصعدوا ليتحاربوا مع الافرنج ليكون يد لهم عند السلطان الكبير، لان مودود لم يركب على الافرنج لكنه رجع الى السلطان ، فاتفق جوسلين حاكم الرها مع جاولي لانه تكرم عليه

بالموصل ، ورضوان حاكم حلب اتفق مع ذلك الملك وانكسر جاولي وجوسلين .

وفي سنة ٥٠٠ للعرب اخذ الفرنج طرابلس التي على شاطئ البحر من ابي علي بن عمار بعد حروب كثيرة أخذوها بيومين ، ولما دخلوا قتلوا العسكر وسبوا الشعب وكل البلاد وباعوهم عبدا .

وفي هذه السنة وقع سكمان بن ارتق من الفرس ومات، وخرج الأفرنج وأخذوا الأثارب وقتلوا بها الفين، وأتوا الى منبج وسبوا وتملكوا أيضا على المدينة، ووصلوا حتى بسالس وأحرقوها بالنار ، ولما وجد رضوان صاحب حلب ونظر انه لن يستطيع ان يلاقي الأفرنج ارسل لهم اثنين وثلاثين ألف دينار وعشرين بغل واربعين ثوب اطلس، وأرسل لهم ظهير الدين طغتكين اتابك دمشق عشرة آلاف دينار، وحاكم حماة الفين وحاكم عسقلون اربعة الاف دينار، وعقدوا صلحا . (٧)

وفي سنة ٥٠٥ هـ أيضا ارسل السلطان غياث الدين عساكر مع مودود ليتحارب مع الأفرنج ، ولما وصلوا الى شبختان اخذوا قلاعا كثيرة، وأتوا على الرها لكنهم لم يستطيعوا ان يأخذوها ، وهاجموا تل باشر ، كذلك لم يستطيعوا اخذها ، وتوجهوا الى حلب لكنهم لم يتركوها يدخلوها أيضا .

ومرض سكمان (٨) حاكم اخلاط فحملوه ليأخذوه، لكنه مات في الطريق .

واجتمع الفرنج وهجموا على مودود ثلاث وعشرين هجمة في يوم واحد وتحاربوا، وكان قد غلبهم في اول هجمة مودود لكنه انكسر فيما بعد وهرب الى دمشق ، وفي يوم الجمعة بعد الصلاة خرج وهو يتفرج ويمسك بيد حاكم دمشق فوثب عليه اسماعيلي فقتله . (٩)

وفي سنة ٥٠٨ للعرب خرجت عساكر السلطان غياث الدين مع

ابنه ابو الفتح مسعود وقسيم الدولة أق سنقر البرسقي ليتحاربا مع

الأفرنج، ولما وصلوا الموصل خرج لخدمتهم تيمرك بن أرسلان وزنكي ابن أقي سنقر واتفقوا أيضا معهم ، وحين وصلوا إلى ماردين خرج نجم الدين لخدمة ابن السلطان وأرسل معه سبعمائة وثلاثين فارسا ، ولما جازوا النيبك أرسل نجم الدين إلى الأفرنج وساعدهم ، ولما عرف ابن السلطان بهذه المسألة أمسك ابن نجم الدين ورماه في الحديد وسبى بلاده ، ونزل على دارا ، ولكن نجم الدين مضى إلى شهرزور وجمع شعبا كثيرا وأتى إليه ركن الدين ابن عم حاكم كيفا وبلك بن بهرام أخوه الأكبر ، وجمع رجالا يفوقون العدد، وأتى بقوة عظيمة ليلتقي بابن السلطان ويخلص ابنه، ولما وصلوا القرديس بقرب دارا كان هناك شرنمة من عسكر ابن السلطان نازلين وغير عارفين ، ولما رأوا فرسان قليلين من عسكر نجم الدين أتوا عليهم واشتبكوا كلهم ، وكان بينهم حاكم شبختان وحاكم نصيبين وحاكم مكسين .

ولما علم ابن السلطان أن عساكره قد انكسرت ترك دارا وهرب لنصيبين ونزل نجم الدين وأخذ الخيام وكلما كان لهم ، فأما ابن نجم الدين لما راهم مرتجفين وصار الليل وليس من يعتني برفيقه ، وكانت رجولية بالحديد وهو راكب ، فطرح نفسه من على البغلة واختفى بين جماعة من اليهود، وإذا بكردي أتى وأعلم أبوه فأرسل عشرة رجال وحملوه فأحضره، وصار فرح عظيم لبيت ارتقى. فأما ابن السلطان فتوجه نحو أبيه واشتكى على نجم الدين فأرسل السلطان تهديدا لنجم الدين كونه حقر سلطنة الترك ، فصنع نجم الدين مسالمة مع الأفرنج ، ومع أتابك حاكم دمشق، وتحالفا أنهم يساعدان بعضهما بعضا، فمضى كل واحد لبلده، وبقي نجم الدين وحده ، ولما أتى حاكم حمص عليه ليلا وجده سكران وغير عالم أين هو فحملوه ووضعوه في حمص وأرسلوا أعلموا السلطان ، ولما أبطأ الجواب ، أعطى نجم الدين وعده ، وترك ابنه، فأما هذا فجلب عسكرا من السلطان ، ولما وصل اصطلحوا وأطلق ابن نجم الدين (١٠) وبخلت عساكر السلطان إلى بلاد الأفرنج ليسبوا فالتقى

بهم الأفرنج وقتلوهم كلهم ، يقولون إنهم أحرقوا منهم ثلاثة الاف بالنار .

وفي سنة ٥١٣ سلم حاكم حلب مدينته لنجم الدين لأن الأفرنج قد اضعفوها ، وفي تلك السنة أخذ نجم الدين الغازي نصيبين ، ولما مضى الى حلب ليصنع صلحا مع الأفرنج ولم يقبلوا فجمع جملة من الاتراك لأنهم كانوا يطيعونه جدا ، يقولون أنهم أرادوا أن يحصوهم

فمقدروا ، الف أمير كان فيهم ، ولما اصطفوا لم يصبر حاكم انطاكية حتى يأتي الملك فانكسر ، وأخذ نجم الدين نحو الشرق ، ولما رجع الى ماربين سمع أن أهل حلب قد عصوا عليه فتوجه الى ميافارقين ، ومات في الطريق وأمر أن يملك ابنه بعده وكان اسمه حسام الدين تمرتاش ، ولأنه لم يكن مستعدا ، وكان سليمان حاضرا هو الذي أدخله الى ميافارقين وقبره ، ولذلك ملك هناك ، وملك أخوه تمرتاش في ماربين ، وكان هذا في سنة ست عشرة وخمسمائة للعرب . وهذا الفصل يجب أن يسبق الذي قبله لأنه ملك بعد نجم الدين على حلب بلك (١١).

أحداث مملوكة بين ١٤٣٥ - ١٤٤٦ يونانية ١١٢٤ - ١١٣٥ م .

نتابع في مطلع هذا القسم الحديث حول حصار ملطية لأننا إلى هذا الزمان تحدثنا في المقالة المتقدمة عن موت بك الذي كانت باسمه تحفظ ملطية بأيادي ابن السلطان ، ثم انقسمت بلاد بك بين حكام عديدين : مدينة حلب أخذها حسام الدين تمرتاش ، وقلعة زياد أخذها سليمان، وسلطان ملطية أخذ مسرا وجرجر، ولأجل هذا وقع خصام بين حكام قلعة زياد وبين حكام ملطية ، وبهذا انفتح الباب أمام الأمير غازي ابن دانشمند حاكم سبسطيه الذي أراد أن يأخذ ملطية، وعقد عهدا مع السلطان مسعود الذي كان ختنه، فجمع شعبا كثيرا وهجم على ملطية يوم الجمعة في ١٣ حزيران سنة ١٤٣٥ وسبى قراها، ونزل على المدينة شهرا، ثم مضى غازي وترك ابنه محمد في قرية ساحان التي هي قريبة من المدينة ومعه عسكر عظيم وأمرهم أن يحرسوا أبواب المدينة ولا يتركوا أحدا يدخل أو يخرج منها، حينئذ جلب المأساة لسكانها من الجوع والمرض حتى وصل قفيز الحنطة الى ستة وثلاثين دينار وأخيرا فني القوت كليا، وصار السكان يأكلون ورق الأشجار وقشور الشجر الرطب وأيضا وجدوا ققطا أو حميرا ميتة كانوا يأكلونها ويلعقون الدم أيضا، وكانوا يأكلون الجلود والأحذية وما شابه ذلك ، لقد تسلط على المدينة ثلاثة سيوف : سيف من الخارج كان يسقط على رقبة كل من يريد أن يهرب ، وسيف الجوع الذي لا يطاق، وسيف الحكام الأشرار داخل المدينة الذين ما فتئوا يعذبون الناس ويرمونهم بالسجون لأجل جمع الذهب، ومن هنا صارت تحدث مناظر بشعة فقد كان الأولاد يبادون أمام عيون أهلهم من الجوع وهم عاجزون عن مساعدتهم سوى البكاء عليهم، ثم أخذهم للقبور، أما العجائز والمشايخ فكانوا مطروحين بالأسواق متورمين يئنون لأنهم لا يستطيعون الصراخ،

حتى أن الناس لم يعودوا يتكلمون سوى بالبكاء، أما الحاكم فقد خرج بالليل ومضى فاستأجر الأفرنج بثلاثين ألف لكن بعد أن وافقوا معه لم يأتوا لأنهم كانوا متوجهين إلى حلب . حينئذ جمعت أم السلطان ايزابيل الثانية كل الأحرار ومن كانت تظن أن لديه مالا وألقت بهم بالسجن، وكانوا يعذبونهم بغير رحمة ويأخذون الذهب وقد استعدوا ليقتلوا بالسيف كل المسيحيين ويذهبون . لكن الرب لم يترك أهل المدينة في هذه الضيقة طويلا فارتحلت هذه الملعونة خاتون وابنها، وكان ذلك ليلة الأربعاء ١٠ كانون الأول سنة ١٤٣٦، ودخل الأمير غازي ولما نظر المدينة فارغة من السكان والذين بقوا بدوا وكأنهم قائمين من القبور شجعهم، وأعتق الأسرى الموجودين والذين يجتمعون ويأتون. وأعطى قمحا للفلاحين يزرعوا، وأحضر البقر والثيران والأغنام، وأخذت المدينة تنتعش . وفي تلك السنة مات سليمان بميفارقين وملك عليها حسام الدين تمرتاش حاكم ماردين وهو أخوه، ولما كانت قلعة زياد لسليمان المكنى شمس الدولة ذهب الأمير غازي نحوها أيضا لكي يملكها، لكن الأمير داود من أسرة أرتق كان قد سبقه فقام الأمير وسبى أهالي بلاد هنزيط وأحضرهم إلى بلاد ملطية، ثم ذهب مرة ثانية وسبى كل ما بقي، وأخذ قلعة مسرا . حينئذ أتى داود ليتحارب مع الأمير غازي ، ولما عرف بأنه لن يستطيع أن يقاومه هرب وأخذ يحرق القرى التابعة له .

وفي تلك السنة (١٤٣٦) يونانية مات الخليفة المستظهر في بغداد (١٢) وقام ابنه المسترشد ، واتفق الأمير العربي المسمى صدقة (١٣) مع الأراقة ، أما الخليفة في بغداد فقد دخل إلى بيوت أبيه وطرد آلاف المغنين ، وجمع كل أنواع آلات الطرب وأحرقها أمام الباب ، وأخرج ثلاثة آلاف امرأة من المغنيات والزانيات وكان الناس يقولون لأن رؤوساء الدين يبدأوا ينحرفون عن طريق الإيمان الصالح زالت السيطرة منهم ومن العرب .

ثم إن الأمير صدقة تمرد وأعلن العصيان على الخليفة .
أما الترك فكانوا يساعدون الخليفة ويطاردون دبيس ابن الأمير

صدقة ، فترك المسلمين والتجأ الى الأفرنج وقادهم ضد حلب ليأخذوها له ، أما البرسقي (١٤) حاكم حلب فجمع عسكرا ليهاجم الأفرنج، حينئذ رجع الفرنجة الى بلادهم ، فدخل البرسقي حلب واطمأن وظن انه كسر الأفرنج فسار ضد أعزاز ليأخذها ، حينئذ أتى ملك القدس وجمع الأفرنج وشنوا حربا على البرسقي فهزمه وقتل عساكره ، وخلص هو مع قليلين ، وهرب لحلب وظهر بهذه السنة كوكب عظيم من اليمين الى الشمال طوله كثير وعرضه بعمق بلاد الفرس ، وبقي يظهر مدة شهرين ، وفي سنة ١٤٣٥ ظهرت كواكب متناثرة من بداية الهزيع الثالث من الليل الى الصباح ، وفي سنة ١٤٣٦ صار جوع عظيم في كل المشرق .

وخرج البنادقة الذين هزموا المصريين من عكا تحت لواء رئيسهم الدوقس، وتوجهوا بحسرا الى مدينة صور المبنية في قلب البحر ، وشرعوا بحصارها ، وكان هؤلاء البنادقة يعملون لصالح بطريك القدس الفرنجي .

وبهذا الزمان خلع بلدوين الملك من أيادي الترك ، وقد افتك بمائة الف دينار .

وفي سنة ١٤٣٧ قتل الأفرنج حاكم حماه عند كفر طاب ، واحتل الأفرنج جبلة من ابن عمار ، ونزل ملك القدس يساعد البنادقة لاحتلال صور، لكن المصريين سلموا صور لحاكم دمشق ، ولما أتى حاكم دمشق أي طغتكين ليتحارب مع الأفرنج لاقوه في مرج النحاس وقاتلوه وكسروه وخلص قليل من عساكره ، وذهبوا الى دمشق ، بعد ذلك أخذ الأفرنج يضايقون صور بكل أنواع الحرب بالبر والبحر ، وأخيرا أخذوها في سنة ١٤٣٧ .

وفي تلك السنة صعد البرسقي مرة ثانية ضد الأفرنج فانكسر ، وهرب ثم أتى للمرة الثالثة فأتى عليه بلدوين ملك الرها فكسره وقتل اثني عشر الفا .

وبعد ان اخذ الامير غازي ملطية جمع الملك عرب ثلاثين الفا ، واتى ليحارب اخيه مسعود لكونه لم يمض يساعد اخاه في ملطية ، فتركها لغازي ، وهرب مسعود الى القسطنطينية والتجأ الى يوحنا ملك الروم .

فأما الملك عرب فنزل على قونية مدينة مملكة السلطان مسعود اخوه ، وأما الملك يوحنا فتقبل مسعود بالفرح ، وأعطاه ذهباً كثيراً ، ولما خرج أتى الى عند الأمير غازي ، وانطلقا معا ضد عرب فهرب الى طوروس الأرمني في قليقلا .

وفي سنة ١٤٣٨ بالصيف جمع عرب الترك والأرمن ووضع كميناً وأمسك محمد بن غازي ، وأتى الأمير يونس على عرب ، وانتصر عرب وأمسك يونس ، لكن غازي أتى سريعاً ولما التقوا مع بعضهم انكسر غازي في البداية ، ثم صعد الى مكان مرتفع ونصب خيام معسكره وأمر ان يضرب بالأبواق ان عرب قد انكسر ، فاجتمع عسكر عرب على اصوات الأبواق وراوا خيام غازي ، وكان قد حل الظلام فتبدت عساكر عرب ، حينئذ طاردهم غازي ، وأخذ خيامهم وخيولهم ووصل الى قومان وأنقرة وقاتلها بشدة حتى تملك عليها ، وأخرج ابنه محمدا الذي كان معتقلاً هناك ، وبعد هذا جمع عرب ايضاً العساكر وبدأ يضطهد الناس ويحتل القرى ، وقد احتل قلعة وجد فيها ولد من اولاد غازي اسمه يمن فقتله ، فغضب غازي جداً ، وجمع جيشاً ومضى ضد عرب ، فانكسر عرب وهرب، وأخذ الأمير غازي يخرب القرى بغير رحمة، ثم جمع عرب عسكراً وزحف ايضاً نحو الأمير غازي فانكسر ثانية عرب وهرب ليمضي الى بلاد اليونان فهلك .

كل ذلك صار بين الترك الذين في غضبتهم على بعضهم بعضاً كانوا يحتمون بالمسيحيين .

في سنة ١٤٣٨ خرج من رومية بوهيموند بن بوهيموند الذي كان ابوه اميرانطاكية وحمل الاسم نفسه وكان واحداً من الأوائل الذين

خرجوا وملكوا ، فأتى هذا متكبرا متغطرسا ، فأراد ان يستعبد الأفرنج فانقسموا على بعضهم ، وحدثت بينهم حروب ، فاستغل ذلك جوسلين ، وغزا ضواحي انطاكية وسبى كل شيء وجده ، فغضب بطريركهم وأغلق البيع وأبطل القرايين والصلوات والنواقيس ، وأمر ان لا يقبروا الأموات، ولما تضايقوا اصطلحوا ورد جوسلين كل ماسباه .

وفي سنة ١٤٣٩ اجتمع الترك والأفرنج في منطقة حلب للقتال ، ولما خاف الترك تعهدوا ان يعطوا لجوسلين كل سنة اثني عشر ألف دينار ، وعقدوا صلحا معه ، وبعد ذلك دبر الترك مؤامرة مع أناس من أعزاز فسقوا جوسلين سما هو وستة من فرسانه فمات أولئك الستة ، أما جوسلين فبوساطة الأطباء وبغناية الرب نجا فقتل الذين أعطوه السم هم وأولادهم .

ودخل في تلك السنة يوحنا ملك اليونانيين الى بلاد الأونجريين واستعبدهم .

وفي تلك السنة خرج السلطان الذي كان في ملطية، وسبى أطراف البلاد البرانية، ومضى ولم يتراءى .

وأيضا في شهر آب نهب الترك العصاة بلاد ملطية، فلحقهم داود من قلعة زياد وضربهم وخلص الأسرى وردهم .

وفي تلك السنة مات السلطان الكبير غياث الدين وكان هذا حسن السيرة عادلا وشريفا في انتصاراته ، وكان في أيامه امن دائم في بلاده ، ثم ملك أخوه سنجر بن ملك شاه وابنه محمود .

وفي سنة ١٤٤٠ دخل جوسلين الى بلاد آمد وقتل الترك والأكراد الذين في الجبل الأسود ، ونهب القرى حتى باب المدينة لانه لما دخل الترك الى بلاد الرها كان جوسلين بأنطاكية، دخلت مع الترك عساكر آمد الى بلاد الرها .

وفي هذا الزمان كان عند حسام الدين حاكم ماردين فارسين
افرنجيين : واحد اسمه بررنول ، والآخر جларن ، ولم يرد ان
يقتلها لكن الزمه البرسقي واقسم ان لم يقتلها فسوف يخرب
بلادها، ولما قتلها اتى خبر ان البرسقي ضربه بينما كان يصلي يوم
الجمعة في المسجد اسماعيلي بسكين ، فما دخلت به لانه كان لابس
زردية ، فأمسك الاسماعيلي ، ولما تضايق صرخ لرفاقه الاثنيين
اللذين معه وقال : اضربوا من تحت فضربا البرسقي تحت بطنه
فمات ، عند ذلك ندم حسام الدين على قتل الافرنجيين .

كامل هذا الخبر بعون الرب .

وفي سنة ١٤٢٨ كان الشتاء شديدا ، افنى الحيوان
والبهائم ، وحدثت ايضا زلازل في شباط .

وفي سنة ١٤٣٩ في تشرين الثاني حدث زلزال مرتين بالنهار
ومرتين بالليل، وبقيت الارض تسرتج اربعين يوما واربعين
ليلة ، وتراعى كوكب مضيء في ثامن ساعة من النهار ، واخيرا انتفخ
كالتنين وسقط .

في سنة ١٤٤٠ تراءت نار في ناحية الشمال في كانون الثاني ، وفي
اذار ، وفي نيسان وكان يظهر على شكل اعمدة شبه منفصلة في
ناحية الجنوب .

في سنة ١٤٤١ اجتمع الافرنج وخيموا حول دمشق لان حاكمها
طفتكين المعروف بفضائله قد مات ، وملك ابنه تاج الملوك ، وامسك
اهل بانياس لكي لاتدخلها قوات الافرنج، فأرسل الافرنج الوفا من
الفرسان والمشاة ليحضروا معا يحتاجون من
القوت ، والتموين ، فصنع الترك كميننا فتضايق الافرنج واخذوا من
حاكم دمشق عشرين ألف دينار ، وعقدوا صلحا ، وعادوا الى
لادهم على ان يعطوا كل سنة للافرنج خراجا .

ثم مات طوروس الارمني حاكم قليقله في تلك السنة وقام بعده
اخوه ليون فبدأ القتال معه بوهموند حاكم انطاكية .

فأما الأمير غازي لما كسر جميع الترك الذين في كبدوكية ملك وحده ، ووصل الى سواحل البحر ، وكان هناك يوناني اسمه قيسانوس حاكم ذلك البلد ، فخرج هذا من تلقاء نفسه الى الأمير غازي وسلمه جميع القلاع التي في بحر بنطس ، وأعطاه مكان في بلاده ، واعتبر نفسه من عداد جنوده ، فلما قويت شوكة الأمير غازي في ذلك الزمان سمع بأخبار طوروس فأرسل عساكره الى قليقطة، وكان بوهيموند ايضا والأفرنج قد وصلوا من الجانب الآخر، لكن لا الأفرنج كانوا عارفين بوصول الترك ولا الترك كانوا عارفين بوصول الأفرنج ، ولما وصلوا الى منطقة عين زربة رأى الترك انه مع بوهيموند قليل من الفرسان ، فاستغلوا هذه الفرصة وهاجموه فصارت معركة حامية وطويلة انسحب على اثرها الأفرنج الى تل عال ، فأحاط بهم الترك من كل جانب وقتلهم جميعهم بما فيهم بوهيموند لأنهم لم يعرفوه أولا ، ثم أخذوا رأسه وأسلحة الأفرنج ايضا وخرجوا عاندين ، أما ليون فظل قابعا لم يتدخل لصالح اي من الطرفين ، وقتل معظم الفرنجة ، وبعد ما توقف القتال امر الأمير غازي بسلب رأس بوهيموند وأرسله مع كثير من الهدايا والخيل الى الخليفة في بغداد فقابله الخليفة بالرضا ورفعته الى مكانة عليّة خاصة .

وفي تلك السنة اعطى سلطان خراسان الموصل لابن البرسقي ، وقد قيل عنه انه كان ماهرا جدا في الحكمة والعلوم وعارف بتكوين السمج والبنيان، وكذلك شجاع وجبار في الحروب ، لكنه لم ينجح لأن النجاح والنصر هو من الله ، وقد عاش ثلاثة اشهر فقط في السلطة ، ولما وصل الى الرحبة ادركه الأجل ومات ، ويظن انه قتل بالسم .

وزحف بعده ضد الرحبة مسعود بن أقي سنقر ، وأقام وحاربها حربا قاسية ، وهذا مات بالسم ايضا .

أما جوسلين فقد هاجم رأس العين ، وقتل عددا كبيرا كان اغلبهم من العرب مات اكثرهم خنقا والباقي سباهم رجالا ونساء .

ولما مات مسعود بن البرسقي حاكم الموصل كان بها والي اسمه جاولي من غلمان السلطان الكبير ، فاشاروا عليه ان يأخذ مال من خزانة حاكم الموصل ، فأخذ مالا جزيلا وأرسله الى السلطان مع القاضي بهاء الدين الشهرزوري ومعه الأمير صلاح الدين محمد بن أيوب، وأرسل يقول للسلطان اني انا امير لكم ههنا لأنني من عبيدكم ، ولما نخل الرسل الى بغداد وقبل ان يواجهها السلطان التقى بهما رجل اسمه نصير الدين جقر بن يعقوب ، وكان من جنس صلاح الدين فأعلماه سبب مجيئهما، فأشار عليهما ان يطلبوا عماد الدين أتابك زنكي قائلا : بهذا يرتضي السلطان لأن أتابك من جنسه ، وكان جبارا ومشهورا وتليق به السلطنة فقبلا مشورته ، واجتمعا أولا مع زنكي فحلف لهما اذا انتصب فسوف يلبي لهما كل ما يطلبان ، فطلب ذلك القاضي ان يكون قضاء الموصل له ولذسله من بعده مادامت ثابتة في مملكة بيت أتابك ، وأن يكون كلهم قضاء وكافة البلاد التي تحت حكمه فتأمر بأمره وأمر اولاده ، فحلف لهما على ذلك وثبته بكتاب .

وطلب صلاح الدين منه ان يكون حاجبه الخاص ونصير الدين نائبا عنه بالموصل، وأن يكون أمره على كل الرعية .

وعندما تقدا الى السلطان كانا قبلا قد غمرا كل الذين حوله بالهدايا ، فاعطى السلطان الولاية لزنكي، وكذلك فعل الخليفة، ثم خرج من بغداد ، وخرج معه عسكر ، ولما اقترب من الموصل سبقه القاضي بهاء الدين والأمير صلاح الدين ودخلا على جاولي وقالوا له : لم نقدر ان نأخذ لك البلاد فأخذنا لك امرا ان تكون واليا بهذه القلعة ، وأمرك في كل البلاد ، وأمر السلطان أن يكون زنكي هذا هو واتباعه امامك رئيسا للعسكر ، ولما طأوهم دخل زنكي الموصل (١٥) وقد فتحوا امامه ابواب المدينة والقلعة وملك في سنة ١٤٤٢ ، وحينئذ صعد واخذ الجزيرة ، وملك رويدا رويدا كما يقولون ، ويحكون أنه حفظ على تسلسل الزمان عهدود بهاء الدين وصلاح الدين ونصير الدين وزين الدين بتمامها ولم يذقض منها شيء قط .

وفي تلك السنة قتل بوهيموند حاكم انطاكية فأتى الملك من القدس وأتى جوسلين من الرها ليتملكا على انطاكية ، فأغلق أهل المدينة الأبواب وتركوهما خارجا ، وبعد ان بقيا عدة ايام يتشاوران وأخيرا سلم الانطاكيون المدينة لجوسلين لكي يحفظها حتى تتزوج ابنة بوهيموند فتعطيها الى زوجها ويصير حاكما لانطاكية .

عندما كان الأفرنج متوجهين الى باب انطاكية أتى زنكي حاكم الموصل ونهب بلاد تل باشر وبلاد انطاكية ، وضرب الفرنجة وقتل اتباعهم وبعد ذلك دخل الى بلادهم وقتل منهم اعداد كبيرة وأخذ قلعتين .

وفي تلك السنة خرج يوحنا ملك اليونانيين ليتحارب مع الترك وبنى مدينة على شاطئ البحر، ولما استعد ليلاقي الأتراك غدر به أخوه وجماعة من عظمائه ، ولما أرادوا ان يحبسوه هرب الى الأمير غازي ففرح به جدا، واکرمه كثيرا، وأرسله الى عند جيراس الى طرابزون .

لكن لما رجع الملك الى القسطنطينية أرسل الذين غدروا به الى المنفى .

أما الأمير غازي فقد نزل على سمندو التي كانت مع اخته وأخذها حربا ، ومن هناك دخل الى بلاد قليقلا على ليون الأرمني ، وأخذ القلاع، أما ليون فقد أقسم انه لن يدخل او يرسل لصوصا الى بلاد الأمير غازي ، وكذلك ان يعطي كل سنة جزية لغازي فصدق كلامه ، وتركه وخرج ، أما ليون فكذب ولم يعطه شيئا، ثم أتى الأمير غازي الى ملطية ، فأتى اليه السلطان مسعود ختنة واسحق أخو ملك اليونانيين الذي رجع من عند جيراس ، وبقوا كل فصل الشتاء، ثم مضى اسحق الى ليون فأعطى ليون ابنته لابن أخي الملك مع مدينتي المصيصة وأذنة ، لكن وقعت بعد ذلك مشاجرة بينهما ، وأخذ ليون من اليونانيين كل متاعهم وهرب اسحق وابنه الى عند السلطان مسعود .

وفي سنة ١٤٤١ ولد اربعة اطفال من بطن واحدة ، وبعد عشرة ايام مات جميعهم فجأة في يوم واحد .

في سنة ١٤٤٢ في تشرين الثاني تراءت نار في ناحية الشمال كانت تلتهب كالجبال ، واخيرا صارت كالأعمدة ، وفي ذلك الوقت سقط كوكب واحد عظيم ومخوف جدا ودوى اثناء سقوطه كصوت الرعد الشديدة .

في سنة ١٤٤٣ تراءى قوس كالغمام بالليل ، وفي هذه السنة اصببت الكلاب بداء الكلب في اكثر البلاد ، وقد اصابوا الناس والبهائم وحدثوا فيهم ضررا فادحا ، وقال المنجمون : إنه عندما يرى الكلاب الكوكب المدعو (كلب الجبار) سيكلبون .

وتجرا في هذا الوقت رجل فارسي من اهل ملطية ، وخطف الصليب من يد أحد المسيحيين ووضعه على احليله ، حينئذ ثار المسيحيون واجتمع اهل المدينة وذهبوا الى الوالى وأخبروه ، فأمر الوالى باعتقال ذلك الفارسي وتسليمه للمسيحيين لينتقموا منه كما يريدون ، حينئذ شحروا وجهه واركبوه حمارا ودوروه بالاسواق ، وبعد هذا سمع غازي أيضا ف ضرب الفارسي وطرده من ولايته .

وفي سنة ١٤٤٤ يونانية حدثت زلزلة في ليلة الثالث من شباط ، وفي اليوم الثاني من اب خسفت الشمس ، وفي ايلول حدث زلزال في وضع النهار ، وبعد هذا تراءت اية مخيفة تشبه النار ، وحدث بعد هذا لمدة سنتين قلة بالمطر وجوع في بلاد كثيرة لا سيما في جزيرة قبرص ، ومن شدة الجوع اكل المسيحيون لحما في الصوم الكبير .

وفي الوقت الذي به خسفت فيه الشمس مات اربعون فارس من الأوبنة ومعهم اربعمائة رجل مسيحي وابن توما الشماس .

وفي تلك السنة أيضا ولد بملطية أربعة أطفال في بطن واحدة ثلاث ذكور وفتاة واحدة ، فمات الذكور وعاشت الفتاة .

وفي ذلك الشهر ولد خنزير له جثتين ورأس واحد ومات للحال.

وفي هذا الزمان مات اربعمائة تاجر فارسي ، وأربعة رجال مسيحيين كانوا قد خرجوا من القسطنطينية ، ماتوا كلهم بالثلج وحدث ذلك في عيد مارتا ودورس.

ومضى جوسلين الى القلعة التي بين حلب ومرعش ، وكان فيها عرب يغيرون في تلك البلاد ، وقد حفروا تحتها نفقا ، فدخل جوسلين ليراه فانهدم عليه للحال ودفن تحت التراب فأخرجوه وهو على آخر رمق ، ثم حملوه الى تل باشر ، ولما سمع الأمير غازي جمع الأتراك ليدخل لبلاده فأمر جوسلين أن يجتمع الأفرنج وحملوه على حماله وخرجوا ليقاتلوا الأتراك ، وفي الطريق مات جوسلين الثاني ، ولما سمع غازي أن جوسلين قد مات أبدي موقفا نبيلًا ، فأوقف الحرب وأرسل وفدا للتعزية وكتب الى الأفرنج قائلا :

اليوم لن احاربكم لئلا يقال إنني قد انتصرت عليكم بعد أن مات ملككم ، فالآن اذا تدبروا أموركم بكل هدوء،واقيموا لكم رأس وفق نواميسكم،ودبروا بلادكم بالأمن،ولا يكون لكم فكر من ناحيتي ولا من ناحية عساكري.

أما ملك اليونانيين فقد خرج حانقا على الترك وعلى الأرمن ، وقتل عددا كبيرا من الترك على شاطئ البحر وأخذ قلعتين ، ثم مكر به أيضا عظمأؤه وأرسلوا ليأخذوا أخياه ويملكوه ، ولأجل ذلك رجع عاجلا. أما الأتراك فقد اجتمعوا ودخلوا الى زوسو بولس ولما نفذ زاهم ، وعضهم الجوع ، ولم يستطيعوا أخذها نهبوا البلاد ورجعوا.

أما الأمير غازي فأخذ معه السلطان مسعود ودخل الى شاطئ

البحر فحلا على قلعة اسمها زينين فحاربها لكنهما لم يستطيعا ان يأخذاها، غير أنهما أخذا من الروم الذين فيها أربعة آلاف دينار واصطلحا معهم.

في هذا الزمان أرسل خليفة بغداد وسلطان خراسان رئاسة لغازي ليكون ملك الشمال ودعي الملك غازي.

فأما جوسلين الثاني فقد مكر به الأفرنج و استعدوا ليمسكوه ، وصارت بينهم فتنة ، ثم اصطلحوا مده قليله ، لكنه ما لبث ان انفجر بينهم خلاف لأن جوسلين الثاني أراد ان يملك على انطاكية مكان أبيه، لكن اهل المدينة وبطيريركهم لم يسلموه بل كانوا يحتفظون بها لابنة بوهيموند.

في سنة ١٤٤٤ يونانية (١١٣٣ م) صعدت عساكر زنكي حاكم الموصل على الرها، فخرج الأفرنج فانكسروا وهربوا.

وايضا في هذا الزمان أتى أمير يسمى محمد شمس الملوك كان يبغض المسيحيين، فطلب من حسام الدين حاكم ماردين موصفا فأعطاه بلد شبختان ليحارب الأفرنج، وكان دائما يدخل الى بلاد الرها ويسبي ، فصادفه ستوت فارسا من الأفرنج وحدثت معركة قتل فيها ألف تركي ثم امسكوه واحرقوه على باب الرها بعد هذا أخذ جوسلين قلعة شبختان وهدمها كليا.

وكان الترك مجتمعون في بلاد حلب فدخل عليهم جوسلين ، أما هم فانسحبوا ودخلوا الى بلاد تل باشر فسسبوا فخرج عليهم سبعون فارسا كانوا يتولون حفظ البلاد ، لكن الترك كمنوا لهم وامسكوا بهم كلهم.

وايضا دخل بلاد الترك الأفرنج وسبوا، ولم يوجد أحد يقف في وجوههم ، لأن الأفرنج كانوا مختلفين مع بعضهم.

وايضا خرج يوحنا ملك اليونانيين وأخذ قسطنطينه بالصالح والقلعتين القريبتين اليها، أخذهما بالقتال ثم هدمهما. (١٦)

أما غازي الملك فقد أخذ قلعة اليونانيين المدعوه البرا بالحرب واحرقها بالنار وجعل الشعب عبيدا.

وفي سنة ١٤٤٥ دخل الترك بلاد انطاكية فلاقاهم جوسلين وقتل اكثرهم، وحينئذ اصطلحوا.

وفي كانون خرج حاكم طرابلس نحو قلعة اسمها بارين فحاصرها الترك حالا واستطاع بصعوبة أن يعود الى القلعة ثانية ، فاجتاح الاتراك البلاد الى جبل لبنان ، وشدوا الحصار على القلعة ثانية ، فتضايق الأفرنج الذين بداخلها من الجوع والعطش ، حينئذ وصل ملك بيت المقدس فهرب الترك ، ونزل الملك على قلعة القصير قرب انطاكية وأخذها بالحرب ، ومن هناك توجه الى عم واجتمع هناك الترك كالجراد ففرغ منهم الملك أول الأمر ، فطلب جوسلين فأتى وكان مبتعدا لأنه كان يخاف من مواجهه الملك ، فلما أتى جوسلين أخذ يشجع الملك، واشتعلت الحرب فنزل الاثنان عن فرسيهما وطلب الغفران الواحد من الآخر على المشاجرة التي صارت بينهما ، وحينئذ حاربا الترك وغلبوهما وطاردهما الى القلعة، ولما رجع الملك من الحرب وصوتت الأبواق طلب جوسلين فلم يجده فصرخ الملك وكل الشعب صرخة عظيمة، لكن جوسلين أتى في منتصف الليل.

أما الملك غازي فرجع الى قسطنطينية وأخذها بالحرب وقتل اليونانيين الذين وجدوا بها ، فتألم كثيرا يوحنا الملك وخرج بحدة ، ولكن حدته لم تغير شيئا لأنه ورد عليه خبر موت امرأته وابنه الذي كان خليفة له ، وكان مريضا أيضا لذلك رجع سريعا الى مدينته.

في سنة ١٤٤٥ أتى جراد مثير الى الرها وبلاها فسالتجا المسيحيون بالمنتجب ماربرصوم ، وأرسلوا واخذوا يمينه، وفي حال وصولها صارت اعجوبة وارتحل الجراد ولم تتضرر البلاد أبدا.

فأما اليونانيون كعادتهم الرديئة فقد التهبوا حسدا ، فحرضوا بطريك الافرنج ليفتح الصندوق لكي يروا اليمين ، فرفض الرهبان أن يفتحوا الصندوق وقالوا : إذا فعلنا فسوف يحل الغضب على هذه البلاد ، فصاروا يستهزئون بهم قائلاين لا يوجد شيئا في الصندوق ، عند ذلك اضطر الرهبان أن يفتحوه في بيعه الافرنج ، وللحال أرعد الجو وخيم على السماء سحاب مظلم ، ونزل برد هائل امتلات منه الأسواق ، وصار الشعب كله يصرخ باكيا : يارب أشفق ، أيها القديس ماربرصوم تحزن .

أما الافرنج من الكهنة والشعب والبطريك فقد خروا أمام الصندوق باكين، أما اليونانيون فقد هربوا واختفوا، ولما هدا البرد اجتمع الشعب واقاموا الصلوات لمدة ثلاثة ايام.

أما أهل حران العرب فانهم لما سمعوا بهذا الأعجوبة اتوا وطلبوا من الرهبان أن يأتوا بالبخيرة الى عندهم فلم يفعلوا ، ولما رجعوا الى الدير مضى أهل ملطية وجلبوا رفات القديس ، وخرج كل الشعب بالدعوات والصلوات ، وفي ذلك الوقت لجم فم الجراد ولم يعد يؤذي الزروع قطعاه بل خرج الى الأراضي البور والمفلوحة والتهم القش فتعجبت كل الشعوب وكل لسان مجد الله حين راوا هذه الأعجوبة، وازداد مجد الله بقديسيه ، فأما الشعب فبقي يصلي وكان يفرق الصدقات ، ورجع عدد كبير الى طريق البر ، وقد صنع الرب اعجوبة أخرى وهو انه كان يدخل الجراد الى حقل القطن ويأكل القش ، ولا يضر بالقطن ، وهكذا كان يفعل في حقول الحبوب والسمنم وغيرها.

في سنة ١٤٤٦ خرج من ايطاليا فرنجي اسمه دي فوتيرس وأخذ ابنة بوهيمند الذي قتل وملك على انطاكية.

وفي تلك السنة مات بلدوين ملك القدس.

وفي تلك السنة أتى زنكي حاكم الموصل الى سورية وحل على حلب، وكان بها والي عربي فأغلق الأبواب ، لكن أهل المدينة كانوا

يعرفون والد زنكي الأمير أقسنقر ، وكان قد ملك عليهم وكانوا يشيرون باستقامته وعدله في احكامه ، وكانوا يعرفون زنكي أيضا لانه ولد بالمدينة وتربى،فتوجه الشعب بحماس وفتح الأبواب وأدخله. (١٧)

اما الوالي فقد هرب الى القلعة فحاربها واخذها ، وامسك بالوالي وقلع عينيه وأرسله للموصل،وبالمقابل صنع مع اهل المدينة خيرا ، واصطلح مع الأفرنج ، ثم رجع الى الموصل بسبب مشاجرة بينه وبين الأمراء.

وفي تلك السنة أرسل خليفه بغداد وسلطان خراسان للأمير غازي حاكم ملطيه أربعة اعلام سوداء وطبولا تضرب امامه كالمالك ، وطوق أيضا من ذهب يوضع في عنقه وصولجان من الذهب ليضرب به بين أيادي الرسل لكي تثبت له المملكة ولزيتته من بعده،فلما أتى الرسل وجدوه مريضا فمكثوا ينتظرون ، لكن ما لبث أن دنا موته ، وأعطيت الرئاسة لابنه محمد فالبس الذين أتوا الهدايا محمدا ونادوا به ملكا.

وكان الأمير غازي هذا رجلا سفاكا قاتلا يقتني النساء ويحب الجواري،وكان قبل موته بفترة وجيزة قد أتوا له بامرأة ، فأمر اهل ملطية أن يزينوا لها الأسواق ، لكنه كان شجاعا جبارا وصاحب حيلة ونكاء وفطنة ، وقد فتح بلاد الروم ، وقتل الأتراك العصاة الذين كانوا بها ، وقد نشر الأمن في بلاده ، وقد حارب وقضى على اللصوص وقطاع الطرق ، وكان يحب الجنود،وكان في وقت موته يزار كالأسد.

ولما ملك ابنه محمد بدأ يسلك ناموس العرب،فكان لا يشرب،وكان يكرم المسلمين ويحكم بالعدل والقسطاس،وكان متفهما جدا ، لكنه كان يهدم البيع.وقد جدد بناء مدينة قيساريه كبدوكيه التي كانت قد تهدمت من مدة طويلة ، وقد بناها بنيانا جميلا بحجر من الرخام الأبيض كان يأخذه من الهياكل الجميلة التي كانوا يهدومونها ، وقد

اتخذها عاصمة له ، ثم انتقل في تشرين الأول الى ملطية اي في السنة التي ملك بها، وهي سنة ١٤٤٦ وكان أهلها يتوسلون أن يخفف عنهم المظالم التي وضعها أبوه .

لكنه ما لبث أن مضى في تشرين الثاني وقد استعجله في ذلك السلطان مسعود ، وخاصة عندما أخبره بأخبار ملك اليونانيين ، ولم يصنع خيرا لأهل ملطية، بل على العكس أخذ معه أولاد الأحرار رهائن.

وفي هذه السنة عصى ابن داوود أرسلان طغميش في قلعة زياد ، وامسكه أبوه ووضع في السجن ، كذلك عصى على الملك محمد أخواه : يجن ودولت، فقتل يجن، أما دولت فقد نهب بلاد ملطية.

في هذه السنة أخذ زنكي من الأفرنج دارا وزردنا بمعاهده سلام ، لكنه أخذ فيما بعد يضايقهم ليعلموا إسلامهم ، وتزوج بابنة حاكم القلعة (١٨) ، ولما أتى الأفرنج هرب زنكي.

وفي تلك السنة دخل أتراك ملطية الى بلاد الأفرنج وسبوا ورجعوا

كان في دمشق بهذا الزمان حاكم يسمى تاج الملوك بسوري بن طغتكين وكان له وزير يسمى أبو علي (١٩) من طائفة الاسماعيلية وبسبب هذا صار للاسماعيلية دار في دمشق تدعى دار الدعوة ، وقد قوا بوساطتها لأن كل من كان يدخل إليها ويتفق معهم كان لا يدفع الجزية ، وكان فيها مدبر من القدموس ، وهذا أيضا كان اسمه أبو علي ، ويدعى الشيخ ، فعرض فجأة أن واحدا من عظماء المدينة اسمه أبو الذواد ، أو ابن الصوفي أن قتل الوزير بالاتفاق مع الأمير، فغضب الاسماعيلية كثيرا ، واجتمعوا في دارهم واستلوا سيوفهم وبدأوا يقتلون ويذبحون ، ثم اجتمع أهل المدينة وكل الشعب بلا استثناء في ذلك اليوم وكان عددهم سبعين الفا من العرب ، وقد تمكنوا من إفناء سائر الاسماعيلية ، ثم دخلوا سرا وقتلوا الأمير بوري، وأخيرا بقي رجلا من الاسماعيلية .

وفي سنة ١٤٤٦ سار من مصر بهذا الزمان ملك إلى دمشق ، وكان من العرب ، وكان يملك في مصر، لكن هذا مكربه ابنه وأراد أن يقتله ويملك مكانه ، ولكن لما وجد هذا الملك أن شعب العرب يتبع ابنه ويجله استنجد بالأرمن الموجودين في مصر وكانوا قد دخلوها منذ أن صعدوا لسورية ، وقد كثروا وصار لهم في أرض مصر جاثليق واساقفة، وكان اسم الجاثليق هذا بهرام ، ولما اجتمعوا عند الملك اشتبكوا بحرب مع التابعين لابن الملك ، وفي رشق الأسهم انكسر العرب وقتل منهم الوف، وأمسكوا ابن الملك وقتلوه بموافقة والده . (٢٠)

وفي هذا الزمان أيضا تحارب زنكي عماد الدين حاكم الموصل مع أمراء ماردين وحصن كيفا تمرتاش وداود ، ولما كان حسام الدين تمرتاش بين دارا ونصيبين في موضع يدعى سرجه أتى إليه ركن الدولة ابن عمه، فحاصروا زنكي بجيش عظيم، فخاف منهم لأنه علم أنه لن يقدر أن يقاومهم ، فأمر أن يلبس كل واحد من عساكره درعه ، ويسل سيفه ويقف في باب خيمته، فوقفوا كلهم مثل سور حديدي وبقوا من الصباح إلى الغروب ، حينئذ وفجأة حدث خلاف بين حسام الدين وابن عمه، عند ذلك أخذ ابن عمه عساكره وصعد إلى ناحية الجبل فتبددت العساكر ، وقوي زنكي وطارد حسام الدين ، فهرب الفرسان إلى ماردين وهلك من الرجال خلق كثير، وبعد هذا اصطلحوا بؤاسة الرسل (٢١) ، لأن زنكي احتاج أن يمضي إلى سورية ، لأنه كان هناك الأمير سيف الدولة ديبس بن صدقة ، وكان هذا منذ زمن بعيد يريد زنكي أن يمسكه ، لأن هو وحده فقط بقي من العرب ، ثم اعتقل هذا في أرض فلسطين ، فأرسل زنكي وأحضره إلى الموصل وأقام عليه حراس (٢٢) .

وفي هذا الزمان اختلف الخليفة المسترشد بالله مع زنكي لأنه رفض أن يرسل له ديبس بن صدقة ليقتله ، لأنه كان يبغضه ، فجمع عساكره والتقى الجانبان مع بعضهما فانكسر زنكي وهرب فطارده عساكر الخليفة حتى سور تكري ، لكنهم رفعوه من السور بالحبال

وخرج ليلا من تكريت ومعه فارسين فوصل الموصل ، وأخرج الأمير دبيس من الحبس وأعطاه مالا وأرسله ليجمع العرب ، وكان زنكي يجمع الترك ويتأهب ليزحف نحو الخليفة ، ولما اجتمعت العساكر جمع الخليفة قواته أيضا ، وبعد حروب متفرقة انكسر أيضا زنكي وهرب دبيس الى سلطان خراسان ، اما الخليفة فصعد الى الموصل ليخرج زنكي من المملكة ، اما زنكي فقد حصن المدينة وأقام فيها نائبه نصير الدين جقر ، ولم يستطع الخليفة قهره فقفل راجعا (٢٣) .

وبعد هذا بينما كان الخليفة المسترشد راقدًا بالخيمة وقت الظهر عند باب مدينة مراغة وسط معسكر مسعود سلطان خراسان ، دخل عليه عشرة رجال فقتلوه ، فقام الراشد بعده (٢٤) .

في سنة ١٤٤٦ صار زلزال عنيف في بداية تموز وايضا في نصف تموز ، وفي منتصف الليل شوهد كوكب يمشي سريعا فوصل إلى القمر وبدا وكأنه قد شقه وجاز في وسطه .

وفي شهر آب ظهر أيضا كوكبان مثل هذا النوع ، وأخيرا سقطا .

وفي ٢٣ ايلول جاء مطر غزير وبرق فأحرق سبعة ثيران وصبي ، وقد أحرق هذا البرق في بلاد سمنو في تركيا واحدا ، فتركه الأتراك ولم يقبروه ، إذ كانوا يعتقدون أن الذي أحرقه الله لا يستحق الدفن .

وفي تلك السنة صار زلزال في أرمينية الكبرى ، وخسفت بها مدينة اسمها بوكوف .

وفي تلك السنة حدث شتاء قاس ، ونزل في بلاد ملطية ثلج أحمر وكان عجيبة جديدة .

وفي أيار جاء جراد لكنه لم يفسد شيئا .

وفي ٢١ تموز نزل نور في منتصف الليل كالقنديل وانتقل من

المشرق إلى المغرب واختفى ضياء القمر والكواكب ، وبقي إلى أن انبج الصبح .

وفي هذا الشهر في بلاد خراسان كان المسلمون في مدينة اسمها كاشغر مجتمعون يوم الجمعة ليصلوا كعادتهم في المسجد الكبير ، فصارت فجأة زلزلة ، وانفتحت الأرض ، ونزل فيها كثير من الأحياء ، وقد هلك في هذه الحادثة أكثر من عشرة آلاف إنسان .

وفي سنة ١٤٤٧ كان الشتاء معتدلا ، وكان طير الحجل يدخل مع طيور أخرى إلى داخل البيوت ، وكان الناس يتعجبون من ذلك ، لكن بعد ٢٦ كانون الثاني أخذ الشتاء يشمد ، وتجمد الفرات وباقى الأنهار ، واتى ثلج كثير ، وفي أمد دخلت الطيور والحيونات إلى داخل المدينة ، فأمر السلطان بأن لا يؤذيها أحد وصاروا يعطونهم قوتا إلى نيسان ، ويقولون إن الطيور التي أكلت من المدينة والقري لما صعدت إلى الجبال اضمحلت في أوكارها .

بمثل هذا عرفنا بأن هذا قد حدث بأمر من عليين ، وذلك لتأديب كل جنس حي، ولا أحد يستطيع أن يمنع ذلك .

اخبار البيعة في هذا الزمان

في سنة ١٤٣١ يونانية ، وفي ٢٦ نيسان منها توفي ديونوسيوس ابن المعترف ، وسجي جسده في بيعة ملطية الكبيرة ، وقد خدم رئاسة الكهنوت خمسين سنة منها اثنتين وثلاثين سنة اسقفا ، واثنتي عشرة سنة مطرانا في ملطية ، وست سنوات بعد أن أخذت منه

في هذه السنين عاشت بيعتنا المستقيمة المجد بهدوء وراحة لأن اليونانيين والخلقيديونيين كانوا محصورين داخل بحر بنطش وملك بني ماجوج ، ولم يعودوا يستطيعون أن يضايقوا المستقيمين المجد ، ولا أن يفسدوهم بهـرطقتهم ، وعلى الرغم من كون اليونانيون القساة كما قلنا كانوا محصورين داخل البحر فقد كانوا يرسلون رجالا للأفرنج أي الرومانيين الذين كانوا مسيطرين على انطاكية والقدس كما قلنا من قبل رؤساء كهنة في منطقة حكمهم ، وكان رعاتنا بينهم بغير اضطهاد، وبغير حذر لأن الأفرنج ، ولو أنهم متساوين مع اليونانيين بازواجية الطوائع لكنهم متميزين عنهم بأنواع كثيرة، وبعيدين عنهم كليا في الأمانة وفي العادات ، وكان الأفرنج في هذا الزمان مسيطرين على بلاد فلسطين وسورية ، وكان لهم رؤساء كهنة في كنائسهم ، ولم يطلبوا من أي طائفة قط أن تلتزم بايمانهم لأنهم اعتبروا كل من يسجد للصليب مسيحيا.

وعد الاتراك، الذين كانوا ضابطين لأكثر البلاد ، المسيحية عقيدة ضلال ، ومع هذا لم يميزوا قط بين المذاهب ، ولم يكن شرعهم ينص على الاضطهاد بسبب الايمان كاليونانيين الشعب الشرير المهرطقين.

وعندما لم يعد أمام اليونانيين الأشرار فرصة ليضطهدوا

المستقيمي المجد كما كانوا يصنعون من قبل ، لم يتوقفوا مع هذا عن قساوتهم ، بل كانوا في انطاكية ومصر يقيمون لشعبهم بطريك في اراضي المسلمين ، وكانوا يتحركون لكي يشقوا السريان والقبط والارمن كالحية الرقطاء المضروب رأسها ، لكنها تحرك ذنبها ، فلما كانوا بسورية وارمينية وفي فلسطين ومصر مع بطريكنا واساقفة شعبنا واخوتنا الارمن والقبط كان اساقفتهم اليونانيين والخلقيديونيين يعملون بقدر استطاعتهم على تمزيق هذه الشعوب الثلاثة ، وكان اليونانيون الذين في القدس وانطاكية يداومون على الشرور ، وكان رؤساء الكهنة الفرنج يميزون بين كهنة الطوائف الثلاث ويرعون المستقيمي المجد ، وكانوا يقومون ضد اليونانيين أيضا .

اما على حدود الأتراك فكان بهذه الأيام جميع المستقيمي المجد مرتاحين من ضرر الخلقيدونيين ، وكانت البيعة هادئة .

اما عن فتنة البطريرك مع ابن صابوني ومع المطارنة الشبيوخ الثلاثة وهم ابن المعترف الذي أخرجه من ملطية واسقف قليسوره واسقف طور عبيد الذين حرّمهم البطريرك ، ولم يكونوا من اصحاب البدع ، ولم يجاوزوا القانون وانما فعل ذلك لأنهم حرقوه ، وكان قد توسط لهم أناس كثيرين ولم يقبل ، فقد مات أولئك المطارنة وهم محرومون ، ولهذا السبب ضعفت الأمانة بين كثيرين

وكان اثناستاسيوس السادس بطريرك السريان (١٠٩١ - ١١٢٩) وهو المعروف بابي الفرج بن كامرا قد غضب على ابي غالب باسيل بن صابوني مطران الرها وحرّمه وأبطل الصلوات والطقوس في كنائسه من نصف الصوم الكبير حتى أحد العنصرة ، وأعاد جميع الرسامات التي أجراها المطران ، فحنق المطران باسيل على بطريكه وسار الى انطاكية ورفع الدعوى عليه الى بطريك الفرنج واساقفتهم وأرسلهم فأوفدوا في طلبه من دير اللاقشر في كوره قاسينا ، وأدخلوه الى كنيسة القسيان مرحبين به

وسألوه أن يغفر لمطرانه ويصلي عليه ، فأبى ، فثقل ذلك عليهم واستوضحوه السبب بواسطة ترجمان فقال لهم ان المطران مذنب ومجرم ، غير ان الترجمان نقل اليهم كلام البطريرك على غير صحته فقال :لقد نعته بالمجرم لأنه مديونا له بذهب وافر ، فقال الفرنج إن كانت المسألة مسألة مالية فتلك شيمة سيمون الساحر ولا يحق للبطريرك أن يتشبه بها ، وبعد أخذ ورد طويل وعدهم البطريرك بأن يصلي على مطرانه ويغفر له ، فألح عليه رؤساء الفرنج أن يكتب له صكاً بذلك ويطلقه ، ودفعوا اليه قرطاساً ليكتبه حالاً دون توقف ، فلما أخذ البطريرك القلم التفت الى ابن صابوني وكان واقفاً بالقرب منه وقبال له : انظريا ابنا غالب الى أي ذل أوصلتني ، فقال له أبو غالب منتقما : إن كنت أنا أبو غالب فأنت أبو الفرج ، فما كان من البطريرك إلا أن القى القرطاس ومد عنقه ، وقال للحضور اقطعوا هامتي فإنني لن أحله ، فتأثر أحد الاساقفة وقال لأعضاء المجلس : دعوا البطريرك ومطرانه وشأنهما ، فأرفض ذلك المجمع دون جدوى ، وخرج البطريرك اثناسيوس من الكنيسة وخرج معه جميع الملتزمين وانطلق الى كنيسة والدة الرب ببيعه السريان في انطاكية.

أما رؤساء الفرنج فأرسلوا يخرجون عليه مغادره انطاكية قبل ان يعقدوا مجمعا ثانيًا لاعادة النظر في تلك الدعوى ، فظل البطريرك محجورا مدة خمسة ايام لا يسوغ لأحد أن يفتحه في المسألة قطعا. غير أن بعض الكهنة السريان قصدوا عبد المسيح الفيلسوف الرهاوي الملكي صديق البطريرك ، وسألوه أن يسعى في حسم تلك المشكلة فسار اليه وتفاوضا مليا ، ثم ان البطريرك قصد الملك رجير صاحب انطاكية في تحف وتقادم واستأذنه في العودة الى دبره ، فأطلق له الحرية في ذلك بموافقة البطريرك الأنطاكي.

لكن البطريرك اثناسيوس بعد أن خرج من انطاكية بالتهديد لم يعد يرضى أن يبقى تحت حكم الافرنج فترك بلاد انطاكية ، ومضى الى مدينة آمد التي بين النهرين التي كانت مرعية مخصصة لكرسي

البطركية . ولما جلس في دير قنقرت (٢٥) زادت الضغوط على الرها فأغلقوا بيعتها ونزعوا ناقوسها بسبب ابن صابوني ، ولذلك صار فساد كثير بين الرعية في الرها وتمرد الكهنة وقاموا ضد بعضهم بعضا ، وصار الشعب يترك بيعهم ويمضي الى الكنائس المخالفة لنا في الايمان ، ومن هنا اعتاد الرهاويين ان يعمدوا اولادهم في كنائس الافرنج دون ان يتألموا او حتى يهتزوا بل لم يخطر على بالهم هذا قط ، وقد تضررت كثيرا بيعة مستقيمي المجد بهذا الاضطراب الذي صار بين الرعايا..

اما مار اثناسيوس فقد ظهر له في امد عدو شرس ، فقد كان في رعية امد اناس معروفين يدعون بني قريبا يسكنون في قرية قنقرت ، وكان ابناء هؤلاء في الماضي قد اختلفوا مع ابوي البطريرك ، وكانت عشيرتهم تدعي بني كامرا وكان لبني قريبا هؤلاء دور وحقول ، وكانوا متسلطين بالمكان ، ولما مضى البطريرك وجلس في دير قنقرت صار بينهم وبين البطريرك خلاف حول بعض الحقول وصاروا يذمون البطريرك امام الحاكم ، فطلب الحاكم من البطريرك ان يغفر له فرفض ، فاستشاط الحاكم غضبا وامره ان يلزم دير قنقرت والا يخرج منه ، فما كان من البطريرك الا ان حرم الشماس ابن قريبا الامدي فاحتدم الشر ، وكثر الاضطراب بينهم ، وامتد ايضا الى امد وباقي نواحي الابرشية ، فتضايق كثيرا البطريرك كما سنوضح هذا فيما بعد ، وفرص الحاكم على البطريرك اثناسيوس بسبب حرمانه لاسحاق ابن قريبا ان لا يخرج من امد لانه طلب منه مرارا كثيرة ان يفك حرمانه ، ورفض كذلك عندما اتى ايضا الامير بنفسه الى دير قنقرت وسأل البطريرك ان يفك حرمان اسحاق ، فلم يقبل لكنه اطفأ غضب الامير بالذهب الذي اعطاه له ، وحينئذ اشار اسحق الشماس على الامير ان لا يترك البطريرك يخرج من امد قائلا ان البطريرك رجل شيخ وسوف يموت قريبا هنا ، فتأخذ أنت متروكاته ، فبقي البطريرك مقيما في امد كأنه مسجون ، لكن البطريرك اثناسيوس استغاث بجوسلين حاكم الرها وطلب منه ان يتوسط عند امير امد ، فأرسل جوسلين عاجلا الى حاكم امد يقول:

ان لم تطلق سراح البطريرك فإنني سوف اخرب بلادك ، فأذن للبطريرك ان يمضي فخرج من أمد ، وذهب مباشرة ليشكر جوسلين ، ومن هناك صعد الى دير مار برصوما ، وكان يوم أحد الغنطيقوسي ، فابتدا بالقداس ولما وصل الى دعاء الروح القدس اضطرب ، وتغير وجهه ، وذهب عقله فأجلسوه على الكرسي ، واكمل مطران جرجر القداس، لكنه مالبت ان عاد الى وضعه الطبيعي ، فرسم مطراننا لشبختان ، غير أنه مالبت ان مرض فبقي سبعة ايام ثم دنا وقت انتقاله، وكان ذلك يوم السبت ٨ حزيران سنة ١٤٤٠ في الساعة الثالثة حيث توفي فجئز وسجي جسده في بيت خزانة الدير .

وفي السنة التي توفي فيها مار اثناسيوس البطريرك توفي ايضا مار قربوس بابا الاسكندرية .

ولما وصل خبر موت البطريرك اثناسيوس الى الرها اجتمع الكهنة بحسب القانون لجنائزته ، وفيما كان يشارك ابن صابوني بالخدمة سقط وذهب عقله فحملوه لقلايته ، وبعد ذلك استعاد رشده، ولما اجتمع المجمع في كيسوم اتى ابن صابوني الى سميساط ليذهب الى المجمع فوقع هناك عن الفرس الذي كان يركب عليه ، فحملوه وارجعوه الى الرها ومات وتوفي وهو محروم .

وكان رأس المجمع في ذلك الزمان ديونسيوس اسقف كيسوم، ولما اجتمع الاساقفة واقاموا قرعة وقعت القرعة على المعترف رئيس دير الدوائر الذي في نواحي انطاكية ، ثم مضى اسقفان ليأتيا بالمدعو، فتوفي خلال ذلك ديونسيوس اسقف كيسوم واتى بعده الشيخ ديو نسيوس المفريان ، فمضى كل الاساقفة مع المفريان الى تل باشر بعناية جوسلين الذي احاطهم بالخيانة ، ورسموا ماريوحنا المعترف راعي الدير بطريكاً وذلك يوم الاثنين من الاسبوع الثاني للصوم في ١٧ شباط ، ووضع عليه اليد ديونسيوس المفريان في بيعة الافرنج الكبيرة ، وكان جوسلين وعظمائه واقفين بالخدمة ، وبوساطة جوسلين صنع البطريرك والمجمع حلاً لابن

صابوني وايضا لمطران شبختان الذي كان قد ترك رعيته فحرمه البطريرك بمرارة ، وأمر أن لايقبل في البيعة ، وقد عاد وقبلوه بعد توسط جوسلين ، وأعطوا له كرسي سمندو الذي كان راعيه قد توفي فانقبل هناك مدة قليلة ، لكنه مالبت ان طرد من هناك فمكث بغير رعية كل زمان حياة ماريوحنا ، وبعد موت هذا البطريرك ايضا اشفقوا عليه فأعطوه سميساط في رسامه البطريرك الذي صار بعد ماريوحنا ، وهناك ايضا انقبل مدة يسيرة ، لكنهم مالبتوا ان طردوه تائها من مكان الى مكان ، ومضى الى القدس لكنه لم يستطع البقاء في ديرنا هناك ، ثم مضى الى عند الأفرنج المدعويين داوية ، واخيرا سقط في تنور النار واحترق ، وصار عبرة كيف تكون اخرة الذين يدوسون قوانين البيعة المقدسة ، ويحرمون الرعية من الرعاية لأن البطريرك قال له ان تترك رعيته في شبختان فلن تستحق الا المقبرة .

فصل آخر حول اخبار البيعة في هذا الزمان

بعد رسامة ماريوحنا البطريرك وقع شجار بين الاساقفة في المجمع لأن ديو نيسوس المغيران كان يريد زيادة على رعيته ، فقام كل الاساقفة في وجهه عند ذلك خرج غاضبا ، ووصل الى آمد واراد ان يقيم بطريركا آخر ويعزل الذي قام ، لكن الرب المهتم ببيعته في كل وقت ومزيل الافكار الأثمة أوحى الى حاكم آمد في ديار بكر ان يطلب اعتقاله، وبصعوبة استطاع ان يفلت ، ولما رجع الى رعيته بقي صامتا لا يأتي بأي حراك .

اما في كرسي الاسكندرية ومصر وبعد قـريوس قام مقاريوس ، وبعد ان توفي هذا في تلك السنة التي توفي بها ماراثناسيوس ارتسم تاودوروس ، لكن هذا وجد بعد مدة انه هرطقي تابع للاشقي يولياني الخيالي ، ولأجل هذا نفي وصار ميخائيل بطريركا لكرسي القبط ، وبعد هذا اصبح جبرائيل بطريركا لكرسي الاسكندرية ، وكان هذا متعمقا بالعلوم وماهرا جدا في الخط واللغة العربية ، لكونه رأى ان كل الشعب القبطي يتكلم اللغة العربية ويكتب بالخط العربي ، لان مملكة العرب تثبتت في الزمن الذي تقدم في كل تلك الارض ، فاهتم وتعب ونسخ كتابي العهد القديم والجديد وباقي الكتب ، ورتب الخدمات الكهنوتية في الخط العربي لكي يفهم السامعون ، ويقرا كل الشعب الكتب المقدسة .

واما البطريرك ماريوحنا فقد مضى الى دير مار برصوما وجمع الاساقفة وحرّم المطران ماريوحنا بن اندراوس لانه لم يقبل البطريرك لما مر في رعيته ، لكن كل الناس اجمعوا ان هذا السبب لا يوجب الحرم الذي قطعه عليه .

ترك بهذا الزمان بسيلبيوس بن السمينة أسقف كيسوم رعيته ، بعدما ابدى شكوكه حول صححة حرمان ابـن

اندرائوس ، وامتنع من الرعاية ، كأن ليس بالناموس واجب تدبير
امور البيعة ، ومضى الى دير المتوحدين الذي على شاطئ الفرات
المدعو دير القنأة وجلس هناك بالخلوة، وعندئذ اشار اناس على
البطيريك ان يجعل من كيسوم كرسي البطيريكية عوضا عن امد
لكونها في حكم المسيحيين ، وبعد ان صارت كيسوم باسم البطيريك
خمس سنين، وبعدما رسم الببطيريك لامد مطران هو
بسيلوس ، رجع ابن اندراوس الى رعيته ، وبناء عليه رجع ايضا
بسيلوس بن السمنة الى كيسوم، وفي هذا الزمان ارتسم للرعا
مطران اسمه باسيل ، وكان رئيسها وقد دعي باسم اثنا
سيوس ، وبعدما استقام بها سبع سنين توفي في سنة ١٤٤٧ ، وفي
تلك السنة توفي ايضا اياونيس مطران ملطية ، وهو المعروف باسم
النيشع ، ووقع بعد موته خصام كبير بين جماعة الاكليروس حول
انتخاب راع لها ، لأن باسيلوس اسقف جيحان ، الرجل الماكر
الكثير الحيل ، والذي كان دائما من قلاية البطيريك جالس لاجل
امور الكتابة وتدابير البيعة ، كان يمانعهم لئلا يرسموا مطرانا
لملطية ، لانه كان مصاب بمرض الشراهة، وطمع ان يأخذها زيادة
على رعيته ، وكان البطيريك القديس في وداعته ينجذب خلف
باسيلوس وتدابيره ، وهكذا بقيت ملطية ثلاث سنين بلا
راعي ، لان كل من رؤي اهلا للمنصب ورشح لكي يصير
مطران ، كان ينقصه اسقف جيحان عند البطيريك ويسمه بكل نوع
من انواع المنمة ، والبطيريك كان يصدق كلامه ، حينئذ اختار اهل
ملطية ان يرعاهم المطران الربان يشوع الشمساس المعروف بابن
قطرة من المدينة، وارسلوا رسالة اتفقهم وعمموها ، فلما نظرها
اسقف جيحان كتب على لسان البطيريك حرمانا كبيرا على يشوع

مقتل دبيس بن صدقة

هرب الامير دبيس الى عند السلطان ، لكنه لما احس أنهم
يريدون ان يقتلوه تحيل ليفلت ولم يقدر ، ثم قال كلمة محزنة الى

العاصي فصادوا سمكا واكلوا منه فمات في الحال اكثرهم وقد صارت هذه اما بفعل ما ، او بضره من العلي ، اما الذين بقوا على قيد الحياة فأسرعوا بالهرب خوفا من الموت وتركوا المنهوبات .

مصرع الخليفة الراشد

بعد ان اتفق مسعود سلطان همذان مع داود السلطان ، ولما سمع الخليفة انهما اتفقا فزع ففرقهما بالسرا ، واتى ليحارب مع مسعود ، ولما نظر ان داود ختنه لم يأت ليساعده علم ان الخليفة وعده ان يعطيه المملكة وحده ، فتحارب مسعود مع الخليفة اولا وكسره وامسكه وربطه بالحديد ، ثم طارد داود وهنا صار كما هو مكتوب ان الخليفة قتل في معسكر مسعود على باب مراغه وقام بعده الخليفة الراشد ، ثم طارد مسعود داود لانه هرب الى ارمينية وسبى ، وخرج الى الموصل الى عند زنكي ، اما هذا فلكونه ند لمسعود حمى داود ، ونزل معه الى بغداد وارسل الخليفة ان تعطي السلطنة الى داود اما هو فكان يخاف من مسعود ، وظل يعدهم من وقت الى وقت مدة عشرة اشهر ، حينئذ امتلأوا غضبا ونهبوا بغداد الشمالية كلها ، وعند ذلك التزم الخليفة ووجب السلطنة لداود ، فسمع مسعود وصعد ، اما الخليفة فقد ترك بغداد واتى مع زنكي الى الموصل ، ولما وصلوا وسمعوا ان الوالي الذي في نصيبين تمرد على زنكي وصار مع حسام الدين حاكم ماردين ، اتى زنكي على نصيبين وكان معه خليفة بغداد والسلطان داود ، فأصلح نصيبين ورجع الى الموصل ، اما الخليفة فنزل الى بغداد واصطلىح مع مسعود بوساطة الرسائل ، ونزل الخليفة الراشد الى خراسان وانتهت مملكة العرب كليا وصار الخليفة مستعبدا للاتراك .